صالح جودت شاعر النيل والنخيل

بقلم شكر الله الجر

* * *

في ايام مشرقة من الدهر وليال هاربة من العمر، كان بيني وبين ادباء الشباب في مصر مناجاة ادبية حلوة ، ورسائل ودية متبادلة ، وذلك بين عام ١٩٣٣ و ١٩٣٥ يوم كنت في البرازيل مكبا على مجلتي «الاندلس الجديدة» لاقيم على صفحاتها لشعر المجددين قبابا، واركز لهم اطنابا في بلاد غريبة التقاليد واللغة. وكان طبيعيا ان اتلفت يومذاك الى مصر المطلة على دنيا العرب بنهضة ادبية شاملة يتجلى معظمها في مجلة « ابولو » وصفوة شعرائها وادبائها من الشباب المتيقظ المتحمس وفي طليعتهم ابو شادي ، وصالح جودت ، وحسن كامل الصيرفي ، وحسن محمد حبشي ، وسواهم من ذوي القرائح النيرة المنتجة . ولا عجب فطالما كانت مصر واحة الادب الكبرى مسرحا لسائر الفنون الجميلة تجتذب اليها القلوب والابصار وتستدرج الى مغانيها المزدهرة وسمائها النقية اسراب البلابل من الاقطار العربية لتغرد تغاريدها الحرة بين النيل والنخيل . ولا ننسى من دلف اليها من قراني هذا الجبل الاخضر لبنان، من اقلام مخصبة تألقت في مواكب النور على ارضها فكانت المقطم والاهرام والمقتطف والهلال والشرق ومجلة سركيس وسواها من الصحف اللبنانية التي تناوب على تحريرها نخبة المفكرين الاحرار .

من كل ذي مقول دان البيان له   حتى لتحسبه في الجمع سحبانا
او كل ذي فكرة كالشمس نيرة   تعطيك من عالم الابداع الوانا
او رب قافية ضج الخلود لها   تريك من زهوها شوقي ومطرانا
ايام مصر وللعباس رايته   في نهضة وطدت للشعر اركانا
كم لاذ حر بها من وجه مضطهد   فحل من اهلها اهلا واخوانا

تلك كانت حقبة طيبة للادب تزخر بالنهاوة والشعر وخصوبة الفكر ، تراءت لنا من خلالها مصر عروسة المدائن العربية وهي تختال من محاسنها السنية ببردتين من نقف على الرباب وكحلة في الاهداب .

وعندما نزحزح ستارة الزمن عن جبين التاريخ لنطل من نوافذه على الماضي ، نرى من روابط الاخوة بين الارز والنيل ما لم تتمكن الايام من فصم عراه ، بل ما كانت الا لتزيده متانة ورسوخا . ومن اصغى في الامس القريب الى ذلك الاسمر الظريف صالح جودت يلقي من على منابرنا رائعته (١) الشعرية ادرك كيف تتناجى القلوب وتبث اشواقها النفوس الكبيرة ، وان هذا الحب ليس بحديث العهد بيننا بل هو حب قديم اصيل نمت احلامه وادهرت ايامه على ايد كريمة من ادباء الامتين ولا يزال يرف له جناحان على مشارف المقطم وصنين .. والى القاريء الكريم هذه الزهرات العطرية يقطفها الشاعر من حدائق وادي الملوك ليلقي بها اكليلا على جبين الارز ..

يا اخوة الارز الذي نبع الطلى   من طيب جوهره وحسن طلائه
ما سر لبنان ؟ اشم جباله   ما سر لبنان اطيب هوائه
لا والذي خلق النهى انا لا ارى   لبنان الا في اجل رؤائه

واذا كان قد اعتاد الملهمون من الشعراء ان يسمعوا اصواتا تهتف بهم وهم في نشوة من جمال الطبيعة وسحرها ، فهذا ما وقع للشاعر :

وسمعت في وادي العرائش هاتفا   منذا يرد القلب عن اغرائه
قال امتثل امر الجمال ولبه   . . . .
. . . .
اهبط فرو الروح من فردوسه   وتقبل التفاح من حوائه
واغنم هوى الدنيا فانك شاعر   يتسامح الرحمن في اخطائه

وهذا صحيح فاذا كان السماح معقودا بحسن النوايا فمن احق من الشعراء بنعمة الغفران ؟!

ولنعد الآن سنوات الى الوراء . لنسمع الشاعر نفسه يغني للجمال المغناج على ضفاف بردى بعدما انقشعت تلك الغمامة السوداء عن سماء الشقيقتين سوريا ومصر ..

فيحاء قربني اليك هوى   القصيد وما اجله
فيحاء عاد النور يقترع   الدجى ويغض كحله
قد جئت بالشوق الكبير   أزفه فلقيت مثله
لي فيك حب لا تطيق   ستائر الايام سدله
واواصر في سطح (دمر)   شرفة الله المطله
لازلت لي ـ ليلى (أمية)   يا مني قلبي وشغله
ليلاي في الشطر الحبيب   على جبينك الق قبله

والحق يقال ان قصيدة الشاعر في دمشق هي من الخرائد القلائل في الشعر العربي وكأني بهذا الضاحك المراح موكل بالجمال يهز له طفلا ويغنيه يافعا ويصفق له راقصا على مباسط دنيا الضاد وما أوسعها .. واليك به جاثما على ضفاف دجلة شاخصا بطرفه الى مسارح الغيب يرى بعين الفكر مواكب الشعراء على ابواب الرشيد فيهتف من قلبه :

وحق الذي عقد الاصرة   ووحد بغداد والقاهره
ويا طالما كان حلمي العراق   وأمنيتي الحلوة الكابره
اسائل اين ليالي الرشيد   واين ملاعبه الزاهره
واين (زبيدة) فوق البساط   تجرر اذيالها الفاخره
واين الجواري يلدن الفنون   ويرقصنها كالمها النافره
وهن المدافيء في الزمهرير   وهن المراوح في الهاجره

وما انعم هذه المدافيء ، واروح هذه المراوح في البيت الاخير ، وهل سوى المرأة الحنون مدفئة في الزمهرير ومروحة في الهجير ..

اجل لقد غنى شاعر النيل لبنان في الامس القريب كما غنى من قبله مصر ، والشآم ، والعراق ، وفلسطين،

١ ـ كان ذلك في العام الماضي لمناسبة ازاحة الستار عن اثر خالد الذكر عيسى اسكندر المعلوف .

وكاني به وحده موكل بالشعوب العربية يغنيها النخوة والمجد حاملا قيثاره الى كل عاصمة من عواصمها حتى لكأنه (هوميرها) يكاد لا يتوقف لـه نغم هنـا ، حتى نسمع له انغام هناك وهناك . فمن شاطىء النيل ، الى ضفاف دجلة ، الى خمائل بردى ، الى وادي العرائش ، الى نهر الاردن ، ثم لا نلبث ان نراه على ابواب (اورشليم) واقفا وقفة (أرميا) النبي علـى اطلالها هاتفا بالامم المسيحية كيف لا تهزها الحمية لانقاذ الاماكن المقدسة من مخالب الصهيونية !

ايا امم الغرب ناشدتكم ... بحق المسيح ومـن اكرمه
الا تؤمنون بعهـد يسوع ... وتتلون اياتـه المنعمه
فمن انكر العهد غير اليهود ... ومن صد عنه ومن جرمه
وكيف جعلتم مهاد النبوة ... وقفا على الفئة المجرمه

الى ان يقول لاسرائيل :

الا انذروهـا بـان الضرام ... سيحرق اطماع مـن اضرمه
وانـا عرفنا طريق الوصول ... الى النصر والضربة المبرمه

واذا كان الشيء بالشيء يذكـر فهذا شاعر من لبنان يقول :

ارض المسيح طعينة بحراب مـن ... طعنوا المسيح ولم تجد من يدفع
عاث الطغاة بها فسادا عندمـا ... عرفوا بان هناك لا مـن يردع
عار على الدول القوية ان تـرى ... مهد النبـوة يستباح ويصرع
وتظل جاحظـة العيون كـان لا ... شيئا هنالـك يستفز فتهـرع

لصالح جودت دواوين شعريـة متعددة المواضيع والالوان ، ومن وقف عليها وقف على قمم عالية للجمال تكر معانيه في جنباتها كرور الجداول في الروضة الغناء . ناهيك بسيادة مطلقة على القافية الشعرية فتنقاد لـه طيعة مشرقة ، ولا غرو بذلك فالقافية والمرأة صنوان في صيغة التأنيث ، كلتاهما عنيدة حرون . ومن القوافي من اذا لمست في الشاعر ضعفا شمصت وتمردت ، امـا اذا وقعت منه على فحولة أصيلة في الفن انصاعت ورضخت ومشت متهللة بين يديه لتستوي علـى عرشها في آخر البيت .. والذي يتصباك ويضحكك مـن بعض الشعراء تلك العداوة القائمة بينهم وبين (قافية الضاد) فلكـم تنكروا لها وتنكرت لهم واجفلت منهم بينما نراها علـى يراعة شاعر النيل لينة مطواع ، واليك بهـا في قصيدة غزلية نأخذ منها :

مـا للمدلل اغضى ... فقلبـه ليس يـرضى
منحته الدل صرفـا ... فسامني الـذل محضا
كانـه وهـو منـي ... بعضي يعـذب بعضـا

واتفق للشاعر وهو في فرنسا ان تعرف بحسناء من بنات (الرين) اسمها هيلدا طاب لكليهما الحب والغـزل برهة من الزمن ولما دنت ساعة الوداع بكت وقالت :

اتحبني حقـا فقلت لها ... واراك انس الروح والعين
قالت لانك ها هنا وغدا ... يقصيك عني طائـر البين
واظل وحدي بـين نادين ... اسقي بدمعي شاطىء الرين
مسكينة هيلدا اما علمت ... انـي الف مدائن الكون
ويقودني عيشي ويفصلني ... عن كل ارض شاسع البون

والذي اخاله ان الثروة الشعرية التـي اجتمعت لصالح جودت لم تجتمع لشوقي في ايامـه ولا لحافـظ

عودة المغترب

بغداد عدت اليك يـا بغداد
وكأنما انـا لوعـة وفؤاد
رؤياك بعـد الاغتراب وهمه
حلـم لمسغبة العواطف زاد
الليل ويح الليل بعدك قعـدد
قد مل منـه تثاؤب ورقاد
متثاقل الخطوات كـل دقيقة
دهـر بهـا تتسمر الاعداد
تترقب العشرات بطء مسيره
عبثـا فتشكو سهدها الآحـاد

جامعة بغداد ... باقر سماكة

ابراهيم ناهيك بتعدد الوان الحياة في شعره ، الى احداث عالمية وعربية في عهده لم يتوفر مثلهـا في عهـد شوقي وحافظ ليكون لهما ما كان لشاعرنا جودت مـن اشواط بعيدة على تشعب في المواضيع وغزارة في الانتاج ..

ومن لطائف ما يروى عن الشاعر انه ما برح نـدي العاطفة رقيق الحاشية يتصباه الجمال كما لـو انه في اوائل شبابه فانظر اليه وهو يقطف الزهرة الخمسين من عمره كيف يطارد غزالة في حومة العشرين مـن ربيعها فيقول لها مستعطفا :

يا حلوة العشرين لا تفزعي ... من همسة الخمسين في مسمعي
انا شباب سرمدي المـدى ... انـا ربيع دائـم المطلع
لا يكبر الشاعر يـا طفلتي ... فعمره فـي حسه الطيـع
لا زلت بالروح قوي السرى ... كدفقة النهر مـن المنبع
قلبي على العشرين قيدته ... فعمر قلبي ليس يجري معي

والذي يسرنا ان تبقى لشاعر العرب الكبير فتوته الروحية ويبقى له ربيعها الدائم الاخضرار وهـو صديق قديم طالما نشرت له مجلتي « الاندلس الجديدة » عـام ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ مقاطع من شعره في عهد الصبا لم تختلف بالوانها عن شعره اليوم وهو في ذروة الكهولة وفي ذلـك دليل على دوام فتوته وحسن قابليته ..

قال منذ ٣٥ سنة :

ايها الشارد عن وكر الهوى ... قد عفا من بعدك القلب وذاب
كنت لي يا تاركي في لوعتي ... انت والالحان والكاس طلاب
كنت لا اسمـع الا بلبلا ... فاذا الشادي على الايك غراب
ليت شعري،ما الذي أودى بنا ... اعذاب الحب ام حب العذاب

وعندي ان دراسة شاعر بعيد الآفاق كصالح جودت تتطلب كتابا مستقلا يحمل الـى الادب الصحيح الفصيح مراوح في هجير الفوضى الشعرية الخانقة !!

جبيل ــ لبنان ... شكرالله الجر

ليلة الميلاد

تضاء الشموع
هنـا وهنالك
عبـر البحار
لماذا تضاء الشموع
ومهـدك مظلـم
تبل ثراه الدموع ..؟

تضاء الشموع
تـرن القبل
وتختال تلـك الشجيره
محملة بالهدايـا
ويعلـو النشيد
سلام .. مسره
وايـن السلام ..
وايـن المسره
ومهـدك
في الامسيات الحزينه
تبل ثراه الدموع ..؟

تغني النواقيس عبر البحار
وتنشج في القدس
في بيت لحـم
فيـا مهزلـه
اما آن ان تفتح الاعين
هنالك .. عبر البحار
أما آن ان تنتهي
المهزلـه ..؟

تضاء الشموع
بتلك القصور
وترقد في الدفء
حتى الكـلاب
تقبل .. تدلل ..
وتاكل كعكا
ونأكل كسره

ونرقد نحن واطفالنا
تحت السماء
بغـير غطـاء
تبللنا بالدموع السماء

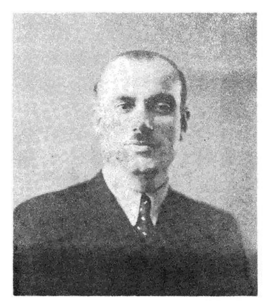
وتزأر من حولنا العاصفه
تنـادي ..
ألا يـا سماء
اطلـي ..
وهزي القصور
اطلـي ..
استبد الفجور

ويقتل منـا الالوف
ونحـرق
ونطرد من ارضنا
ومن موطن ظل عبر القرون
لنـا
وتوهب اقداسنا للدخيل
وآل الدخيل
ومع كـل هذا
تضاء الشموع ..؟

فيا مهد عيسى
ومسرى النبي
ويا امة الحق في ارضنا
وفي كـل ارض
متـى الحق يعلو ؟
متـى ؟
تنار المآذن في ارضنا
تغني نواقيسنا
ويعلـو النشيد
سلام .. سلام .. مسره

الرابية ـ لبنان

اسمى طوبي



رفائيل بطـي

رفائيل بطي من خلال آثاره

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

رفائيل بطي نمط متميز في الادب والصحافة والسياسة ...

انه بما جبل عليه من قابلية متطورة.. متفتحة على النوافذ استطاع ان يجمع بين هذه الاسباب المهمة .. المؤثرة في مجاري الحياة ومسالك الثقافة وطبائع الاشياء جمعا يكاد يكون فذا بلور شخصيته وحدد ابعادها لارتباط كل سبب بغيره ارتباطا طبيعيا من حيث التكوين العضوي .

منذ العشرينات اسهم رفائيل بطي في انعاش الحركة الادبية الفكرية بالعراق الى جانب رهط من معاصريه من امثال ابراهيم صالح شكر ومحمود السيد ومصطفى علي وجعفر الخليلي ومن اليهم .. هؤلاء الرواد الذين شرعوا يتغنون بترانيم الحضارة ويتلهفون الى مستقبل اكرم وافق ارحب ، اثباتا لوجودهم واعرابا عن اخلاصهم القومي والوطني ..

فقد كانت محاولاته جادة في النهوض بالادب العراقي .. هذا الذي انتقل الينا من القرن التاسع عشر مثقلا بتركة كبيرة من سلبية وسطحية .. جمود وتخلف . وهل من دلالة على ذلك كله غير اثاره ..؟!

من هنا كان رفائيل بطي اديبا مجددا وان شئت فقل داعية تجديد بتطلعاته واهتماماته غير المألوفة لدى الكثيرين . انما كان ذلك من معطيات الدراسة الذاتية والتأمل في الوضع الادبي الراكد المفتقر الى اخف نسمة .

كذلك كان موسوعيا في ثقافته الادبية ضمن اطارها العام .. يتقصى انباء الادباء والشعراء معززا الصلات بهم متدارسا انتاجاتهم ومواهبهم ثم يتتبع التيارات والاتجاهات الفكرية ملتقطا اصداءها وردود افعالها هنا وهناك حتى اطلق عليه امين الريحاني « ابن خلكان العراق » . قال عنه الدكتور صفاء خلوصي « ليس اسم رفائيل معروفا في الشرق العربي فحسب بل في الغرب ايضا ولا سيما المستشرقين . فرفائيل مصدر من مصادر بحوثهم اعتمد عليه شيخ المستشرقين الالمان بروكلمان في كتابه الضخم (تاريخ الادب العربي) واعتمد عليه سانتيلانا في بعض ما كتب » ..

وبالرغم من الدور المتاح الذي تولاه رفائيل في تطوير الادب العراقي وتجديده على تقادم السنين وتقوية اواصر الاخاء والمعرفة بين الاعلام والمفكرين في اقطار العرب ودوائر الاستشراق عملا بقول الشاعر :

ان نختلف نسبا يؤلف بيننا   ادب اقمناه مقام الوالد

حتى روى خيري العمري ان الدكتور احمد امين قال له في شتاء ١٩٥٢ بعد التقائه به بالقاهرة : « نحن المصريون مدينون لرفائيل بطي في التعرف الى ادباء العراق » ..

وبالرغم من دعواته الدائمة الى الاخذ من الفكر الاوربي ضمانا لعملية تلقيح ادبنا وثقافتنا وتوليد الطاقة الجديدة على مجابهة متطلبات الواقع المادي القاسي ، وتأصيل القيم الانسانية وتحرير العقول والنفوس من التبعية والضلال ، فان انغماره في السياسة جر عليه مهالك النفي والسجن والتشريد وجنى على مشروعاته وامنياته التي طالما خالجته .

كان ممكنا ان يتضاعف انتاج رفائيل بطي لو انه تفادى السياسة وويلاتها ولكنه اصر ـ على ما يبدو ـ على الخوض في معامعها مهما تكن الاسباب .. كل ذلك من اجل الشعب والوطن اذ يقول « السياسي وهو ذلك الانسان الذي يضع مصلحة المجموع والوطن فوق كل شيء والوطني من تصلب في عقيدته على ان تكون لصالح وطنه وهو من يتفهم وضع بلاده قديما وحديثا وغب الحوادث العالمية » .

هكذا آثر السياسة ومعها الصحافة التي خلق لها على غير ما هنالك ضاربا صفحا عن سواهما وان ظلت نزعة الادب هي الطاغية دواما على عقله وقلبه ومزاجه ...

* * *

كتب رفائيل بطي قسمان ...

قسم يغلب عليه طابع التاليف والتحليل .

ان كتاب « الادب العصري في العراق العربي » رائد في موضوعه ومنهجه وموسوعة ذات خصيصة عبر اجيال تاريخ الادب .. انه ما برح بعد مرور نصف قرن من الزمان يعد المصدر الوحيد ، يراجعه الباحثون والمؤرخون في مباحثهم الادبية ودراساتهم التحليلية عن عدد غير ضئيل من شعراء العراق كالرصافي والزهاوي والهاشمي والازري والشبيبي والدجيلي والكاظمي والبصير ومن اليهم ...

معناه ان الكتاب ـ طبع في سنة ١٩٢٣ ـ يتفرد باهمية تاريخية في مضمار الادب العراقي خاصة الادب العربي عامة بالقياس الى الكتب الصادرة وقتذاك في نفس المنحى والمضمون .. ذلك حسبه .

ومن حيث الميزة العلمية فان الكتاب يمثل الطريقة الفنية التي كانت متبعة في تاليف امثال هذا الكتاب وتحليل انتاجات الشعراء والادباء وتوضيح ميولهم واهوائهم وما يتخلل حيواتهم من مفارقات ومؤثرات صهرت نفوسهم وفجرت قرائحهم .

على ان الكتاب تسمو به روح الحياد والنصفة وتدعمه حقائق عارية استقاها المؤلف ممن ترجم لهم وتحدث عنهم ذلك الحديث الصريح البعيد عن الاغراق واضفاء الالقاب المنثرية على كل من هب ودب ، هذا الذي صار سمة الجيل الحاضر كنتيجة للتمزق الوجداني والتفسخ الفكري والتناقض الحضاري .

هذا قسم المنظوم من الكتاب اما قسم المنثور فلم يظهر بالرغم من الهوة السحيقة الفاصلة بين تاريخ صدور الكتاب وبين وفاة مؤلفه في العاشر من نيسان في سنة ١٩٥٦ .. وقد يكون السبب انهماكه ـ كما نوهنا ـ في معترك السياسة وانشغاله بمشكلات الحياة المرهقة .. المعيقة لكل رغبة .

مع هذا ترامى الينا ان جليل العطية عثر مؤخرا على قسم المنثور من الكتاب . اننا وان سررنا به لانه يسفر عن الوجه الاخر للادب العراقي الحديث ، فانا نتمنى ان يرى النور في قريب عاجل .

متى ادركنا ان الاديب يعبر عن تجاربه ونظراته في كثير من الحالات بحكم طبيعته المتأثرة بظواهر الزمان والمكان ، كان من الاحجى ان نقول: ان كتاب « الربيعيات » - طبع في سنة ١٩٢٥ - هو الصورة الصادقة لما كان يعتمل في اعماق رفائيل بطي من نفثات فكرية وعاطفية على المستوى الانساني اكتوت بلهيب التناقضات والسلبيات وتأثرت بحوافز الانفتاح والانطلاق .

ويبدو لنا ان رفائيل بطي يحاول من خلال هاتيك الخواطر والمشاعر التلقائية ان يتوغل في قرارة الكون واسراره وان يستشف الطبيعة وبدائعها ، وان يفلسف الحقائق السائدة على طريقته الخاصة.

لعل في مقطوعة « اوراق الخريف » مصداقا لما نريد .. يتجلى فيها كاتبها كما لو كان فنانا يعاني شيئا داخليا ما .. يرمز الى الانسحاق الفكري والروحي :

« فما هي منحتك ..؟

ان عطيتك اثمن من عطايا غيرك من الفصول

انت تعلمنا سر الانحلال والاضمحلال وتمثل لنا خاتمة الحياة

انت نذير الموت . يقف عندك المفكر خاشعا لانه يقرأ على جبينك كلمات الزوال والفناء وعبارات الدثور والعفاء

اجل يا فصل العواطف والشعور

ان كان الربيع يلهينا ببهجته ولطافته

والصيف يخدعنا بلذائذه وطيباته

فانت تمثل لنا العبرة وتملي علينا دروس الحكمة البالغة

وانما هذه الاوراق الضئيلة التي تتلاعب بها الاهوية صحائف جليلة نطالع فيها حديث الوجود فنفهم معنى الحياة الحقيقية .

فالقلوب الواعية تحفظ لك اثرا طيبا » .

واضح ان رفائيل بطي متأثر في اسلوبه ومفهوماته باقطاب الادب المهجري كجبران خليل جبران وامين الريحاني .

اما كتاب « فيصل الاول : في خطبه واقواله » فقد كلف رفائيل بطي بتاليفه من قبل مديرية الدعاية العامة التي تولت طبعه ونشره في سنة ١٩٤٥ ، وقدم له مديرها العام يومذاك احمد زكي الخياط .

اذا كان الشيء بالشيء يذكر فلا يغرب عن بالنا ما سبق ان افضى الينا الدكتور صفاء خلوصي : بان رفائيل بطي هو الذي دبج مذكرات عبد الاله ولي عهد العراق ، وقد قضت عليه ثورة الرابع عشر من تموز في سنة ١٩٥٨ ..

على ان رفائيل بطي لغرض في نفسه لم يضع اسمه الصريح على الكتاب ...

ومن منشورات معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية صدر لرفائيل بطي في سنة ١٩٥٥ كتاب « الصحافة في العراق » وهو محاضرات القيت على الطلبة ، تتناول الصحافة العراقية منذ دخول المطبعة الى البلاد حتى اندلاع الحرب الكونية الثانية .

لقد كان لنا قصب السبق في كتابة مقال نقدي عن هذه المحاضرات نشرته مجلة « قرندل » البغدادية وتضمنه ومقالات اخرى كتابنا « نظرات في الكتب » الصادر في سنة ١٩٧٠ ، ومن شاء فليراجعه ، لاننا امسكنا عن الكلام عليها في هذا المقام .

* * *

اما القسم الاخر من كتب رفائيل بطي فتستأثر بها ظاهرة الاقتباس والجمع والاعداد ...

قوام كتابه « سحر الشعر » - طبع في سنة ١٩٢٢ - ابحاث وقصائد لعدد من شعراء الشرق والغرب ، منهم عبد الرحمن شكري ، جبران خليل جبران ، جميل الزهاوي ، جون كيتس ، كارليل ، الفرد دموسيه واخرون .

حيث قدم رفائيل بطي لكل شاعر من هؤلاء بكلمة مكثفة .. جامعة غير مانعة وغير خالية من نقدات تدل على البراعة والرؤيا الصحيحة كقوله عن معروف الرصافي : « ان ما طبع او نشر من قصائده لا يدل على منزلته الفكرية وحرية ضميره » وكقوله عن عباس محمود العقاد « ولو خلا الكتاب - يريد كتاب الديوان - من بعض التحامل والتعرض بالشخصيات لكان اية النقد العصري وعد فتحا جديدا للادب العربي في هذا العصر الناهض » وكقوله عن ميخائيل نعيمة « ولو اوتي متانة وبلاغة عربيتين بقدر ما اوتي من هوية التفكير وشدة العارضة وطول الباع في الفنون الادبية لكان في طليعة ادباء العرب العصريين وحامل لواء كتابهم الناقدين » ..

عرف امين الريحاني برحلاته الى العراق والى باقي الاقطار العربية ، وكانت له صلات برجالاته السياسيين ومفكريه وادبائه ، كان من ثمراتها كتب منها « قلب العراق - ملوك العرب - المغرب الاقصى » ..

وفي رحلته الى العراق كانت الحفاوة به بالغة .. رائعة انعكست على الصحافة المحلية وعلى الحفلات التي اقامتها المنتديات الادبية تكريما لشخصيته ، واعتزازا بمواهبه .

من هنا جعل رفائيل بطي يجمع المقالات والقصائد التي نشرت هنا وهناك او القيت بين يديه وضمها بين دفتي كتاب اسماه « امين الريحاني في العراق » - طبع في سنة ١٩٢٣ - ووطأ له بمقدمة هي في الاصل خطبة القاها في احدى المناسبات عن الريحاني : حياته واثاره ..

يمكن ان يفصح الكتاب في حد ذاته عن واقع الفكر والادب يومذاك ونزعات اصحابهما : من تطرف او تجدد او اعتدال ، كذلك يمكن ان يعكس الكتاب التيار السياسي والاجتماعي الذي كان سائدا .

ثمة كتاب اخر هو « تقويم العراق » وقد تولت صحيفة «العراق» البغدادية لرزوق غنام - وكان رفائيل بطي بها محررا - اصداره واهداءه الى القراء بمناسبة الذكرى السنوية للصحيفة في سنة ١٩٢٣ ..

والكتاب وان كان لا يعدو ان يغدو ترتيبا وتبويبا لمواد شتى ، فانه دائرة معارف من ابحاث قصار واحصائيات طريفة ودراسات مبسطة تناولت كل مرفق من مرافق العراق ، والقت الضوء على احواله الادارية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

ان الجهد المسخر في اعداد الكتاب بتفصيلاته وموضوعاته واضح لا يحتاج الى بيان مما جعله مرجعا حيا يرفد الابحاث المعاصرة ويعين الباحثين على مبتغاهم .

وليس على الكتاب اسم مؤلفه او جامعه ..؟!

قد تكون هناك علة ..؟!

ولكن فائق بطي - نجل رفائيل ادرج اسم الكتاب ضمن مؤلفات ابيه في كتاب له اصدره بعنوان « ابي » في سنة ١٩٥٦ .. كما ان كوركيس عواد كتب بخط يده على غلاف النسخة التي يملكها من هذا الكتاب : « ان مؤلفه الحقيقي هو رفائيل بطي وقد اخبرني بذلك هو نفسه .. » .

نذكر للتاريخ ان لرفائيل بطي اثارا مخطوطة ما انفكت تنتظر من ينتشلها من ظلام النسيان والاهمال منها كتابه « الزهاوي » ، وقد كان متوقعا ان تضطلع دار المعارف بمصر بطبعه ونشره الا ان الموت الفاجيء قضى على تنفيذ المشروع .

ومنها موسوعته الضخمة عن « الشخصيات العراقية » تلك التي لعبت ادوارا في مجال القيادة والسياسة والعلم والادب والفن والتاريخ، اذ استمد مطاويها من مظانها الاولى فجاءت وافية مستوفية ، وانما تهيأ لرفائيل بطي ان ينشر بعض الفصول من هذه الموسوعة في صحيفته « البلاد » على توالي الايام مثل ياسين الهاشمي . ابراهيم صالح شكر . عبد المحسن السعدون . معروف الرصافي . عجيل الياور .

حديث الحب

الى التي احسنت الظن بي .. وآمنت بسمو شاعرها ..

منى النفس ان اهواك يا نفحة الطهر … فما غير دنيا الحب يزهو به عمري
تمنيت ان اهفو اشتياقا لطلعة … تذيب شغاف القلب من بسمة الثغر
تمنيت ان اروى من الحب والهوى … بدنياي .. بل أروى من الحب في قبري
فما رمت في دنياي .. غير مشاعر … تضيء لعيني الكون في ساعة العسر

تقولين : كم تهوى الحياة مفردا … كطير شجي اللحن .. لكن لدى قفر
فيا عذبة الاشواق .. أين هو الهوى … فافديه باللذات .. والبيض والسمر
هو الحب ينبوعا من العطف زاخرا … الذ من النعمى .. واشهى من العطر
فقد ذقت طعم الحب يوما .. وانما … هو الحظ كالعشواء في حكمه يجري
بقلبي حصاد الشوك من بيدر الهوى … وبالنفس من فقد الغرام لظى الجمر
سلي الحظ والاقدار عني لانني … أنا الشوق للصدر الحنون وللطهر
سلي الحظ .. كم أشقى فؤادي مرة … بفقد الهوى حينا .. وحينا من الغدر
جفوت ؟؟ وهل يجفو بدنياه شاعر … يضيء لدنيا الناس كالانجم الزهر
فما كنت يوما ارتضي الكيد للهوى … وان كان بين الناب قلبي او الظفر
أسر لنفح الطيب من كل راحة … واشقى بدمع العين ، او غربة الفكر
فقلبي يعيش الحب دوما .. وان جرت … أمور تنادي غير قلبي الى الكفر
فيا من تناجي القلب .. وهو معذب … بدنياه كالعصفور في قبضة الاسر
أثيري شجون النفس .. يا نفحة الشذى … ويا نجمة بثت عقودا على نحري
صفي لي جمال العيش من كف غادة … هي القلب .. بل اغلى من القلب في صدري
لصوتك يهفو القلب شوقا ولهفة … فان حديث الحب اقوى من السحر
فما الحب تسديه الى كريمة … من القلب في سر لديها وفي جهر
سوى الحلم الغالي لقلبي .. وانما … عذابي متى جف الغرام ولم يغر
فمن اين لي صبر الحليم .. فأرتجي … ومن أين لي طبع اللئيم الى الهجر

انقرة ــ تركيا … مقبل العيسى

نوري ثابت (حبزبوز) . جعفر ابو التمن . عبد المسيح وزير وكثير غيرهم .

ولعناية رفائيل بطي بدراسة الشخصيات العراقية طلب الي في منتصف الخمسينات ان اجمع له معلومات كافية عن عزت باشا الكركركلي الذي استوزر لاول مرة في ابان الحكم الوطني بالعراق ليكتب عنه ، فلبيت طلبه ..

ثم هناك مجموعة الرسائل الادبية التي كان يبعث بها الادباء والصحفيون والشعراء اليه من مختلف انحاء العالم العربي . ان هاته الرسائل لو قيضت لها اسباب النشر لانكشفت عن كثير من الاراء والافكار المطوية وعرت خبايا الصدور والضمائر وفتحت امام المؤرخين والباحثين افاقا جديدة لا تخلو من الغرائب والطرائف ..

ومقدمات كتبها رفائيل بطي لعدد من المؤلفات الادبية .. الفكرية. وهي آية من آيات الشمول والنفاسة والخلق منها مقدمته لكتاب « ايليا ابو ماضي » لنجدت فتحي صفوت ، واخرى لكتاب « مباحث عراقية » ليعقوب سركيس وثالثة لكتاب « رجال وظلال » لمير بصري .. لسنا نغلو اذا ما عد بعض هذه المقدمات خيرا من الكتاب نفسه ...

بغداد … وحيد الدين بهاء الدين

الجزار

سكينة الموت الذي لا يرحم ويمينه القدر الذي يتحكم
عصفت بوارق للاذى في شفرة من دونها وقف الردى يتبسم
وأضاء برق ذبابها ببوائق سحب الرزايا خلفها تتجهم
شخصت لها عين الضحية رهبة ونزا الفؤاد وغص من شجن فم
في مدية الجزار ما فتىء الأذى يقظان لا يعيا ولا يتبرم
وبحدها صور تطل حزينة لدم هريق ولم يزل يتظلم
ما زالت المأساة فيها حية وفصولها الآلام سطرها الدم
وعظت ولم تفغر فما لمسائل بلسان حال لم يزل يتكلم

أبصرته فوق الضحية جاثما يفري بشفرته الاديم ويفصم
يهوي على الشلو النحيل بمدية وكأنه دون الضحية ضيغم
ما انفك يكسر عظمها بضراوة ويمزق اللحم الفريض ويجرم
يهتز للشلو المدمى باسما وبنانه بدم الضحية عندم
زناره وصداره وقميصه في حشوها بغي وليل مظلم
صبغت بنفض دم هريق لشهوة أطماعها لا تأتلي تتضرم
نفض الدم المسفوح أبلغ شاهد عن ظلم ما تبدي النفوس وتكتم
وحقيقة لرواية أجزاؤها لا تنتهي يوما وليست تختم

قبحا لجزار رأى سبل الغنى تجنى بسفك دم الضعيف وتغنم
لا قلبه يوما يرق شفافه لضحية بدموعها تتظلم
أو كان يأسو جرحها وعذابها هيهات يأسو أو يرق ويرحم
قلب تبلد حسه وكأنه كهف تغشاه السكون المبهم
عصفت به الاطماع فهو مشتتت وتقاسمته فراح وهو مقسم
ويد له كالموت ليس لبغيها حد وضربتها القضاء المبرم
أنست بأوجاع الضحايا دهرها أنس النزيف لباغم يترنم
ولو انه ذاق العذاب ومره لحنا ولم يطمعه يوما مغنم

صوت الدم المسفوح جلجل صارخا يحكي بشاهد حاله ويدمدم
في مسمعي صدى يرن كأنه قصف الرعود بكل أفق يلطم
عجبا أكان بسمعه عن صوتها وقر ودون العين ستر مظلم
أو لم يأن أن يستفيق مضلل ويتوب عن عسف ضمير مجرم
تجد الوحوش تعف من شمم اذا شبعت ولا يحنو ويرأف متخم

أشقى البرية آثم سكينه تفري الشوى وتراه زهوا يبسم

دمشق — عدنان مردم بك



هــلال ناجي

عبد اللطيف البغدادي وآثاره المطبوعة

بقلم هلال ناجي

***

هو العلامة البغدادي موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد المعروف بابن اللباد ، الموصلـي اصلا ، البغدادي مولدا ، ووفاة ، الشافعي مذهبا .

ولد عام ٥٥٧ هجرية وتنقل بين بغداد والقاهرة والقدس ودمشق وحلب وبلاد الروم وتوفي عام ٦٢٩ هـ .

جاوزت مؤلفاته المائة والسبعين كتابا في شتى فنـون المعرفة ، خمسون منها في الفلسفة بكل فروعها متوزعة بين الطبيعيات والالهيات والمنطق . وخمسون اخرى في الطب . والبقية في اللغة العربية ومختلف علومها والنقد الادبي والفقه وعلم التوحيد والحيوان والنبات والتاريخ والحساب والعلوم والسحر والمعادن وسوى ذلك مـن فنون المعرفة واخص بالذكر كتابا في سيرته الذاتية ضاع فيما ضاع من تراثنا العظيم، لكن ابن ابي اصيبعه حفظ لنا منه شيئا كثيرا ونقل عنـه في ترجمته للعلامة موفق الدين في كتابه الشهير المنون « عيون الانباء في طبقات الاطباء » وتعد هذه الترجمة مصدرا اساسيا لكل من كتب عن هـذا الرجل الفذ الى حد ان علي مبارك صاحب الخطط التوفيقية الجديدة، اثبتها نصا في الجزء الخامس عشر من خططه .

وانه لمن المؤسف ان احدا من الكتاب لم يفرد هذا الباحث الكبير بمصنف مستقل يعرض فيه لسيرته وآثاره وآرائه بطريقة عصرية تضعه في موضعه اللائق بين اعلام العرب ، فكل ما كتب عنه لم يجاوز شذرات في كتب القدماء (باستثناء ابن ابي اصيبعه) ، وفصولا او مقالات او محاضرات في كتب بعض المعاصرين لا تروي ظما الباحث المتقصي . ولعل مرد ذلك اساسا الى فقدان جل تآليفه وان المطبوع منها قليل بل اقل من القليل وهي على سبيل الحصر :

١ ـ ذيل فصيح ثعلب . طبع اولا مع كتـاب التلويح في شرح الفصيح للهروي (مصر ١٢٨٥) وطبع ضمن مجموعة الطرف الادبية لطلاب العلوم العربية (مصر ١٣٢٥) . وطبعه العلامة محمد عبد المنعم خفاجة سنة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م بالمطبعة النموذجية بالقاهرة ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه .

٢ ـ مختصر فيما بعد الطبيعة : وقد نشر شطرا كبيرا منـه الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه « الافلاطونية المحدثة عند العرب » من ص ٢٤٨ ـ ص ٢٥٦ . وكتابه « افلوطين عنـد العرب » مـن ص ١٩٩ ـ ص ٢٤٠ المطبوعين في القاهرة سنة ١٩٥٥ .

٣ ـ « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر » وهو كتاب صغير الحجم جليل الخطر شد في وقت مبكر انتباه المستشرقين وعلماء الغرب اذ نشر الاستاذ ج. وايت النص العربي وواجهة بترجمة لاتينية صحيفة بصحيفة ـ وذلك في اكسفورد سنة ١٨٠٠ ميلادية وكان الكتاب قد ترجم الى الالمانية سنة ١٧٩٠ من قبل « واهل هال » وفي سنة ١٨١٠ ترجمـه المستشرق سلفستر دي ساسي الى الفرنسية ونشره نشرة علمية قيمة . ويذكـر المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في كتابه تاريـخ الادب الجغرافي العربي ان الطبعة الاولى التي اعدها « وايت » ظهرت عام ١٧٨٩ في حين يذكـر يوسف اليان سركيس في معجم المطبوعات انه قد طبع ايضا بعنـوان « مختصر اخبار مصر » او العبر والخبر في عجائب مصر مع ترجمة لاتينية للاستاذ ت. هايد في اكسفورد سنة ١٧٠٢ ميلادية .

هذا بالاضافة الى طبعته العربية بمصر سنة ١٢٨٦ هـ وطبعـة سلامة موسى بمصر سنة ١٩٣٤ . وقد وفق الاستاذ كمال حافظ زند ولاول مرة الى اعادة نشر النص العربي مصورا عن نسخة فريدة بخط المصنف بالذات كتبها في رمضان سنة ستمائة للهجرة تعتز بها مكتبة بودليان باكسفورد وذلك بعد مواجهة النص العربـي بترجمة انكليزية رفيعة صحيفة بصحيفة ساعده في ذلك صديقاه السيد « جون . ا » والسيدة « ايف. فيدين » ، وقد طبع الكتاب في لندن طباعة رائعة في مؤسسة جورج الين وآنون في مطبعة جريشام وقد قدمت له السيـدة « ايف. فيدين » بمقدمة بالانكليزية مختصرة ولكنها قيمة ونافعة تحدثت فيها عن حياة البغدادي ومصنفاته والمخطوطات المتبقية منها وطبعات الكتاب باللغات الاجنبية وجهودهم في ترجمة الكتاب واعداده للنشر .

ويقع الكتاب مع فهارسه ومقدمته وترجمتـه الانكليزية في ٢٩٣ صحيفة من القطع الكبير وعنوانه : The Eastern Keg

وهذا الكتاب في واقعه مختصر من كتاب « اخبـار مصر الكبير » الذي لم يصلنا ، اختصره مصنفه بالذات مقتصرا على الحوادث الحاضرة والآثار البادية اذ هي اصدق خبرا واعجب اثرا على حد تعبيره .

ويقع كتاب « الافادة » في مقالتين ، الاولى في ستة فصول هي :

الفصل الاول ـ في خواص مصر العامة لها .
الفصل الثاني ـ فيما تختص به من النبات .
الفصل الثالث ـ فيما تختص به من الحيوان .
الفصل الرابع ـ فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن .
الفصل السادس ـ في غرائب اطعمتها .

والمقالة الثانية وهي في ثلاثة فصول :

الفصل الاول ـ في النيل وكيفية زياداته واعطاء علل ذلك وقوانينه.
الفصل الثاني ـ في حوادث سنة سبع وتسعين وخمس ماية .
الفصل الثالث ـ في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس ماية .

في المقالة الاولى يتحدث البغدادي عـن جغرافية مصر الطبيعية معتمدا على اساسين مهمين : رصد القاهرة ثـم محاولة تعليلها ثم محاولة مضاهاتها بنظائرها فيما زار من بلدان . « وهو في وصفه دقيق بالغ الدقة وفي تعليله اقرب ما يكون للصحة في وقت لم تكن العلـوم الجغرافية والدراسات المناخية قد تقدمت هذا التقدم الذي هي عليه الآن حتى انه قد وصل الى احكام صحيحة اثبتتها الاحصاءات والارصاد

صحو

يقولون الهوى عيب وذام
ومالي لا أرى عيبا وذاما
فكيف وان مررت على دروبي
صحا النارنج وابتسم الخزامى

دمشق خليل خلايلي

الدقيقة الحالية » (١) .

وهو في وصفه لرياح مصر يكشف عن قوة ملاحظة جديرة بالتقدير وفي عرضه للثروة الحيوانية في مصر يحيط بها احاطة شاملة . وترى الدكتور دولت لان البغدادي قد سبق عصره بعدة قرون حين توصل « الى حقيقة مهمة من الحقائق الجغرافية الحديثة حول مائية النيل وهو ارتباط مستواه في اثناء التحاريق بمستوى المياه الباطنية في المناطق المحيطة به في الوادي وهو ما وصل اليه (ولكوكز وكريك) عام ١٩٠٨ في كتابهما المعنون « اجيبشن اريجيشن » اذ اوضحا المصدر الرئيسي لمياه النيل في اثناء هذه الفترة من السنة بانها نتيجة تسرب المياه الباطنية الى القاع في فترة الانخفاض بناء على قاعدة الاواني المستطرقة المعروفة » (٢) .

والواقع ان البغدادي كان يمتاز ليس فقط بدقة الملاحظة وبدقة الوصف وربط العلة بالمعلول ولكن باستخدام العلم التجريبي في دراسته لمياه النيل ارتفاعا وانخفاضا .

وقد اشار في كتابه الافادة والاعتبار الى تتبعه البياني لاحوال النيل خلال سنين كثار ، وقد ضمن هذه التفاصيل كتابه المفقود « اخبار مصر الكبير » .

ويبدو انه توصل الى خضوع ظاهرة الفيضان لدورة تسير وفق نظام مخصوص فاذا كشف سر الدورة امكن التنبؤ باحوال الفيضان . وهو في هذا الكشف قد سبق العلماء المحدثين بسبعة قرون على الاقل على حد تعبير الدكتور الصياد (٣) .

والبغدادي في حديثه عن الآثار المصرية تمتاز اقواله بالدقة والشمول ، ويتخذ من الاهرام دليلا على عظمة صانعيه من ابناء مصر حين يقول في كتاب الافادة : « فانك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها ، والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها ، والانفس النيرة قد افاضت عليها اشرف ما عندها لها والملكات الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثلا هي غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم ، وتنطق عن علومهم واذهانهم ، وتترجم عن سيرهم واخبارهم » .

وحين يسأله بعض الفضلاء عن اعجب ما رأى يجيب : تناسب وجه ابي الهول فان اعضاء وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصورة متناسبة ، وهو يعجب كثيرا باتقان اشكال التماثيل المصرية واحكام هيئتها (٤) .

وحين يرى البغدادي اقدام الملك العزيز على هدم الاهرام طمعا في العثور على ثروات خبيئة يثور ثورة العالم المقدر للتراث الاثري والفني فيقول في اروع عبارة واشجعها :

« سول له جهلة اصحابه ان يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر وهو ثالثة الاثافي » .

وهو يستنكر على قومه هذه الفعلة الشنعاء والاثم في حق الحضارة والتاريخ فيقول : « وما زالت الملوك تراعي بقايا هذه الآثار وتمنع من العيث فيها وبها ، وان كانوا اعداء لاربابها . وذلك لمصالح ، فمنها لتبقى تاريخا يتنبه بها على الاحقاب . ومنها انها تكون شاهدة للكتب المنزلة . فان القرآن العظيم ذكرها وذكر اهلها . ففي روايتها خبر الخبر ، وتصديق الاثر ، ومنها انها تدل على شيء من احوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم ، وغير ذلك . وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه . واما في زماننا هذا فترك الناس سدى وسرحوا هملا ، فتحركوا بحسب اهوائهم ، وجروا نحو ظنونهم واطماعهم . فلما رأوا آثارا هائلة راعهم منظرها ، وظنوا ظن السوء بمخبرها . وكان اجل انصراف ظنونهم الى معشوقهم واجل الاشياء في قلوبهم ، وهو الدينار فهم كما قيل :

وكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساقي »

وفي الفصلين الثاني والثالث من المقالة الثانية يتحدث البغدادي عن الطامة الكبرى التي حلت بمصر عام ٥٩٧ للهجرة نتيجة عدم فيضان النيل وما نتج عنه من قحط هائل ووباء فتاك اهلك الحرث والنسل على امتداد البلاد والحق بمصر الاسلامية محنة من افجع المحن في تاريخها الطويل الزاهر .

وفي حديث مفجع محزن يتحدث عن المآسي الكثار التي شاهدها بام عينيه ، من افتراس الناس لبعضهم وبيع للاحرار وانتشار للفوضى وانقلاب البلاد الى مقبرة كبيرة .

حتى يقول : « واعجب من جميع ما اقتصصناه ان الناس مع ترادف هذه الآيات عاكفون على اصنام شهواتهم لا يرعوون ، منغمسون في بحر ضلالاتهم كأنهم هم المستثنون فمن ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجرا ومكسبا ، ومنه عهارهم بهؤلاء النسوة حتى ان منهم من يزعم انه افتض خمسين بكرا ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بالكسر » .

وتظل النزعة العلمية ملازمة للبغدادي حتى ابان الكوارث وبعدها فهو يتخذ من اكداس العظام المتخلفة عن الوباء والمجاعة وسيلة لدرسها وتخطئة جالينوس في بعض ما ذهب اليه بانيا مناقشته على التجارب العلمية القائمة على المشاهدة .

وبعد فان الحديث عن نفاسة هذا الكتاب وما ورد فيه من آراء علمية دقيقة اوسع من ان يتسع له كتاب بله مقالة . ولكنني اجد من باب الامانة العلمية ان اشيد بنشرة الاستاذ الجليل كمال حافظ زند لهذا الكتاب ، والتي قدمت ولاول مرة صورة مصورة للكتاب بخط المؤلف ثم اضافت لذلك ترجمة انكليزية كاملة تواقيمة تساوق المخطوطة صفحة صفحة .

وقد بلغت هذه الترجمة درجة عالية من الامانة والدقة الا ان هذا لا يعني انها سلمت من المؤاخذات بصورة مطلقة فمن مآخذ الترجمة مثلا . ما ورد في الصفحة ٢٣٢ ونصه « ووجد باطفيح عند عطار عدة خوابي مملوءة بلحم الآدمي وعليه الماء والملح » . وقد ترجمت في الصفحة ٢٣٣ فاهملت كلمة « اطفيح » ويبدو ان المترجم الفاضل لم يهتد الى معناها فاهملها ، وهي في واقعها قرية من قرى مصر .

وبعد فانني حين اختتم مقالي هذا ، اهنىء السادة : كمال حافظ زند والسيدة فيدين وزوجها على جهدهم العلمي الكبير هذا ، والذي سد ثغرة في المكتبة العربية بجدارة واستحقاق .

بغداد هلال ناجي

١ و ٢ – انظر جغرافية مصر في كتب موفق عبد اللطيف البغدادي (محاضرة) للدكتورة دولت صادق .

٣ – البغدادي وجغرافية مصر الاقتصادية (محاضرة) – للدكتور محمود الصياد .

٤ – الآثار المصرية عند البغدادي (محاضرة) للدكتور ابراهيم رزقانة .

زهـرة النـدم

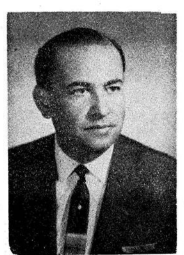
الى الشاعر البحريني الصديق احمـد الخليفة

●

فـؤاد الخشـن

●

الشويفات ـ لبنان



ايها الباحث عن اسرار آهاتي ودمعي
وغياب البسمات
اطفأ المجرم احلى انجمي
حين اغراني فزلت قدمي
في دروب الندم ...
تاركا في كل ضلع
من ضلوعي نقمة يضرمها الحقد وبغضا
بعدما كان صباح العمر في عيني غضا
ان هذا سر مأساتي وكفري
بالمثاليات ، بالخير ، بكل القيم ...
هو قنديل نهاري
هـو عذري
ان انا شككت ، شرعت بوجه الحب رفضا
ان تنكـرت لطيبـه
بنفوس لم تزل فيها براءات الطفوله
همسات هي عندي بعد رمضاء الرمال
واحة العمر الظليلة
وسؤالي
عن دنى مجهولة محض خداع
انه الوجه الطفولي الذي
اتمنى ان اكونه
وقناع خلته يخفي ضياعي !

زهرة في الوحل قالوا
ليت في اهدابهم رف السؤال ؟
من ترى ضيع في الفجر صباها
ورؤاهـا

عشت يأسا ، زهرة تذوي وشمعة
دمعة تفنى مع الليل فدمعه
اي وعد بانتظاري
ينعش القلب ويحيي
وردة النفس الحزينة
الصفاء الحلو والصحو وصدق الهمسات
لم تعد في تربة الواقع في كف اختياري
وبهذا الصدر قلب
لم يعد فيه لوجه الناس حب !



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

•

صور تطالعنا كثيرا

كان في قسمات وجهه ما ينبيء عن تساؤل يتردد في نفسه ، وان كان لم يجاهر به على لسانه ، وتوهمت انه يتريث في ذلك لسبب ما ، فلم استدرجه اليه ، الا انه لم يلبث ان فاجأني بقوله :

ـ هل سمعت بمرض يسمونه « الانانية » ؟

فقلت وانا اعجب لصيغة سؤاله :

ـ مرض يسمونه « الانانية » ؟ لم اكن اعلم ان « الانانية » مرض ، ولكن الذي عرفته انها صفة غير محمودة ، تنفرد بها فئة من الناس ، وتغلب على افرادها حتى يعرفوا بها . ثم انني عرفت الكثيرين يلفظونها بتشديد « الياء » قبل « هاء » الآخر ، وصوابها ان محركة بالفتح وليس غير ، وآية ذلك ما يقوله « شوقي » امير الشعراء ، وهو حجة في صواب ما يقوله في شعره ، وذلك حين ينشد .

زنبقة في الانية ضحية الانانيه

فقال وهو يبتسم مداعبا :

ـ ما هذا ؟ انني ما قصدت « انانية » اللغويين كيف يلفظونها وكيف يكتبونها ، ولا اردت « انانية » الشعراء ، كيف يقولونها لتصبح شاهدا يورده الكتاب والمحدثون دليلا يحتجون به على صدق ما يكتبونه ، وصحة ما يتحدثون به ..

كلا يا اخي ، ما اردت ذلك . وانما اردت تلك التي سميتها « انا » مرضا ، وسميتها « انت » صفة غير محمودة تصف بها فئة من الناس ..

فقلت اقاطعه :

ـ وتلك عرفتها كما انبأتك ، فهات اذن وحدثني ما شأنها ؟ لكأني بك قد اصبت بشيء من ادوائها ، فحز في نفسك ما اصابك منها ، او ممن اتصفوا بها ، فمضيت تنعتهم بالمرض ، حين خيل اليك انهم مرضى بذلك . ولعلك تكون قد التمست لهم العذر اذن .. اما تقول الآية الكريمة في محكم الكتاب « ليس على المريض حرج .. » ؟!

فقال وهو يظهر التبرم :

ـ نعم ، سميتها مرضا ـ كما قلت لك ـ ولكنني لا التمس العذر لاولئك الذين اصيبوا به كما تحاول ان تلبسني ذلك وانا بريء منه ..

فقلت معارضا :

ـ وهل تنكر ان : « ليس على المريض حرج .. » ؟

فقال بعد ان تريث مفكرا :

ـ ذاك المريض الذي لا حيلة له في مرضه ، حين يقعده عن ممارسة اي جهد ، فلا يستطيع معه قياما ، ولا يملك ان يسعى الى ما تعود عليه من مألوف عمله ..

فقلت وانا احس بالظفر عليه :

ـ لكأني بك اذن تعود الى ما رأيته « انا » فتوافقني على ان الامر لا يعدو ان يكون صفة غير محمودة ؟!

وبدا لي كما لو احس بالحرج لهذا التضييق فقال :

ـ ان ما اردته هو « الانانية » بذاتها ، ولا يهمني كيف تسميها او تنعتها ، بل كل ما يهمني ان اصل منها الى جماعة « الانانيين » من الناس ، فمالك تحول بيني وبين ان ابلغ ذلك ..؟!

واعجبني ان يتخلى صاحبي عن عناده ، فقلت :

ـ ما دمنا قد اتفقنا فلست اعترض سبيلك الى ما تريد ، هات حدثني عن « الانانية » واصحابها .. ما بالهم يا ترى ..؟

وانطلق صاحبي يتحدث .. ولم اعترض له سبيلا كما وعدته ، حتى ولو خرجت في ذلك عما تواضعنا عليه من جدل « بيزنطي » في كثير من احاديثنا ، بل وفي معظم ما نعقده من اجتماعات ، وفي كثير مما نؤلفه من لجان ..

واقبل الرجل ـ متحمسا ـ يعدد جماعة « الانانيين » ويتحامل عليهم أشد تحامل ، ويذكر منهم ذاك الذي يفتح المذياع في منزله عند أعلى طاقته ، وقد آوى جيرانه الى مضاجعهم وفيهم المريض المضني ، والعامل المكدود ، والطفل الذي انهك امه حتى اغفى بعد طول صراخ وعويل ، وبذلك اشقاهم جميعا ، واقض

مضاجعهم من أجل ان يستمتع وحده ..!!

ويذكر منهم ذاك الذي جلس في القاعات العامة ، وقد كتب في ابرز مكان منها : « التدخين ممنوع » ، ثم تراه رغم ذلك يشعل دخينته ، وينفث دخانها عن يمين وشمال ، فيلوث به الهواء من حوله ، ويضيق الانفاس على الذين يحيطون به ، وفيهم الكثيرون الذين لا يطيقون ذلك الدخان ، بل ربما لا يحتملون رائحته لاسباب شتى، ومع ذلك فهو لا يحسب لهم اي حساب ، ولا يقيم لهم أي وزن ، في سبيل ان يستمتع هو وحده ..

ثم يذكر منهم ذاك الذي يدخل المتنزهات والحدائق العامة ، وقد كتب فيها عند احواض الزهر والاعشاب النامية : « لا تقطف الزهر » ، او : « لا تطأ العشب بقدميك » ، او : « لا تجلس على العشب النامي » .. ومع ذلك ، فهو يقطف الزهر ، او يطأ العشب بقدميه ، او يجلس فوقه ، وكأنما هو غير معني مطلقا بهذا المنع او ذلك التنبيه ..

ويعدد صاحبي من الوان الانانية كثيرا غير هذا ..

يذكر من يزاحم غيره ممن يقفون في الصفوف عند شراء الحاجات ، او طوابع البريد ، او البطاقات لشتى الغايات ومختلف الاسباب ، فيتجاوز بذلك من هم امامه « انانية » منه ، وتطاولا بضخامة جسمه او قوة عضلاته ..

ويذكر ذاك الذي بلغت به انانيته وغروره حدا جعله لا يعد نفسه للمواقف المشهودة في عمله ، فتراه محاضرا يعتمد على ما في ذاكرته ، وهي غالبا ما تخونه وتخذله ، فاذا هو يتلكأ في القول ، او يغمغم فيه بما لا يغني عنه شيئا ، وتراه معلما يركن الى ما مر به من تجارب والى ما استوعبه من معارف ، فاذا به يفاجأ بما كان يتحتم عليه ان يعد نفسه له ، واذا هو يقف المواقف التي يحيطه الحرج فيها من كل جانب .. وتراه مذيعا يعتمد على ذلاقة لسانه ودربة حافظته ، فلا يخطط لما يقوله ، ولا يستعد من أجله ، فاذا هو يدركه من النسيان احيانا ومن الارتباك احيانا اخرى ، ما يجعله في الموقف الذي لا يحسد عليه ، فاذا هو يلجأ الى متكآت من يصيبهم الخور في القول مثل : « آ .. وا .. ال .. » . وما كان اغناه عن ذلك ، بل ما كان ايسر تلافيه ، وتجنب وقوعه ، لو اراد وعمل من اجل تحقيق ما اراده ..

تلك صور من الانانية ..

عددها صاحبي في معرض تحامله على اصحابها ، وانحائه باللائمة عليهم ، وعجبه المفرط لتراخي المجتمع عنهم ، حين لا يحول بين الواحد منهم وبين ان يمضي في غلوائه حتى نهاية المطاف ..

واكبرت للرجل غيرته ، وتمنيت ان يشاركه الكثيرون بها ، وبذلك تكثر حول اولئك الانانيين حين يوغلون في انانيتهم ، العيون التي تحملق فيهم شزرا ، والوجوه التي اكفهر فيها الحنق والغيظ والاحتجاج الصارخ .. !!

الجندي المجهول عندنا

تحتفل اغلب بلاد العالم بعيد « المعلم » وهي سنة طيبة محمودة ، جديرة بأن تقلد ، وذلك لتكريم المعلم الجندي المجهول الذي يفني حياته كاملة في شبابه وكهولته ، من اجل ان يبني لامته جيلها الذي يحمل الاعباء ، فيكشف بين يديه السبيل الذي يمضي فيه الى بعيد الغايات ، وقد زوده من المعرفة بما يجنبه الوقوع في العثرات خلاله .

وان من واجبنا في الوطن العربي كله ان نفعل هذا ، ما دمنا نحرص على أن نبني لغدنا الافضل ، جيلا صالحا يحمل على كواهله الفتية اعباء ذلك الغد .

واننا لنعلم حق العلم ..

ان المعلم وحده هو الذي يصنع لنا ذلك الجيل ، ويسهر على اعداده بالجهد المتواصل ، ويهيء له من الاسباب الكثيرة المتلاحقة ما يكفل له الوصول الى الهدف المنشود ، ولا يتم ذلك بغير العناء والدأب ، والصبر الذي لا يتناهى اليه اليأس ، والاخلاص الاكيد ، الذي يهون معه كل ذلك ويسهل .

وان من كانت هذه حقيقة امره ، لجدير بكل اجلال وتقدير ، وجدير بأن تكرمه الدولة ويحترمه الشعب ، فيقام له في كل عام عيد يكرس لهذه الغاية ، ويكون بمثابة اعتراف صادق ، تظهر فيه الامة بكامل هيئاتها الولاء والتقدير ، والشكر الخالص من كل زيف ، لهذا الجندي الباسل الذي بذل من الصمود والثبات في ميدانه ، ما لم يدخر معه جهدا ، ولم يتخلف عن واجب كان بوسعه ان يقوم به .

وانه لجندي باسل حقا ..

ذلك المعلم الذي اخلص النية في عمله ، وان عمله ذلك لميدان جهاد مشرف ، له فيه وقفة المجاهد الذي يستحق على جهاده كل مثوبة ، وان من حقه علينا ان نقدر له وقفته تلك ، بالقدر الذي نبذله لجنودنا الشجعان عند حدود الوطن حين يبلي احدهم البلاء الحسن في مقابلة اعداء البلاد .

فمتى نفعل ذلك ؟

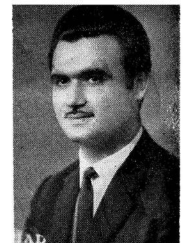
متى نقدر لذلك الجندي المجهول وقفته على النحو الذي نقدر به لجنودنا الشجعان ما يسجلونه من مواقف البطولة ؟

ان المعلم ــ وهو جندينا المجهول ــ لا يقل جهده في ميدانه الذي يقف فيه عن الجهد الذي يبذله جنودنا البواسل في ميادين القتال .

وان كلاهما ليجاهد عدوا يستهدف حاضرنا ومستقبلنا ، وان شر هذين العدوين هو الجهل ، وان اثره في حاضر الامة ومستقبلها ، ليفوق اثر كل عدو ،

البدوي الملثم

فوزي عطوي



القصيدة التي القيت باسم لبنان في الحفل التابيني الذي اقيم على مدرج الجامعة الاردنية في عمـــان

أتعذرني ، اذا شجني تنامى ... وان أبت الجراحات التئامـــا ؟!
ندامك استثير الشوق فيهم ، ... وعهدي ، لا تغيب عن الندامى ،
أتيت ودمع ((لبنان)) بعيني ، ... أساي أسى الايامى واليتامى ،
فـــلا تعتب اذا غصت حـروف ... بدمع الارز ، تهديك السلاما !!

تلفت أيها ((البدوي)) ، تلق الـ ... مضارب كاسفات ، والخيامـا ،
وكل ((ملثـم)) ، الاك ، أمسى ... على ذكراك ، يحتضن اللثاما !
وما أدري ، أجئت اليك أشكو ، ... وكنت وكنت نوقظ الابتسامـا ،
أم انـــي جئت احـــزن للقوافي ... تنـد عـــن الاغاريد القدامى ؟!
فمثلك في المكـــارم لا يجارى ، ... ومثلك في الفضائل لا يسامـى ،
ومثلك ، ان يذق موتـــا زؤاما ، ... يخلد فكـــره الموت الزؤامـا !!

أتذكر في ((الاديب)) لنـا لقاء ، ... سمرنا فيــه اخوانـا كرامـا ،
تحدثنا ، ففـــي نجواك عطـــر ، ... وفي الهمسات أنفاس الخزامى ،

مهما حشد لعدوانه من وسائل الفتك والدمار .

ترى متى يأتي ذلك اليوم ، الذي تقيم فيـه الدولة عيدا للمعلم ، وان يكون قد سبق هـــذا انصاف ذلـك المعلم ، وتحقيق ما بذل له من وعـــود شتى متلاحقة ، تتناول العلاوة الفنية ، ونظام الترقية، وسنوات الخدمة بحيث تشملها نظرة عطف وتقدير ، تقرب من تلك النظرة التي شملت جنودنا البواسل ، ما دام كلا الفريقين ندب نفسه للجهاد في سبيل الوطن وابنائه ..

ان الدولة ــ عندنـــا في الاردن ــ افـــردت وسامـــا خاصا اطلقت عليه اسم ((وسام المعلم)) ، وقـــد جعلته مكافأة رمزية تكرم بها المعلم ، الذي بذل من الجهد الصادق ما يستحق معه التكريم ، وهي بادرة انفردت بها ــ على ما اظن ــ وحق لها الشكر على ذلك ، شريطة ان يبذل هذا الوسام لمعلم بذل حياته كلها في هـــذا السبيـل ، دون ان ينصرف عنه الى اي سبيل سواه . وليت هـــذا التكريم لا يظل مقصورا على الاردن ، بل ليت دولا عربية اخـرى تفعل فعله ، وان اكثر الناس جدارة بهذا الوسام هـــم ذلك الرهط الجليل ، الذين يصدق عليهم هذا الوصف ، ونحن نجدهم في كل بلد عربي دونما استثناء .

وان افراد مثل هذا الوسام للمعلم لتقدير من الدولة لا ينكر ، ولكنه لا يمنع من ان نقيم الى جانبه عيد المعلم ، وان نتبعه بتقليد آخر نجاري فيه ما هـــو قائم في مصر ، تقوم فيه الدولة ببذل ((منحـة المعلـم)) للمجيديـن في ميادين التخصص من المعلمين ، وان وجود مثل هـــذه ((المنحة)) لحافز قوي يبرز معـــه المبدعون مـــن ذوي الاختصاص ، في شتى الميادين ، وما احرصنا على ان يبرز عندنا منهم الكثيرون ، ما دمنا نهدف الى ان نرتقي صعدا في معارج التقدم والازدهار .

عمان ــ الاردن

محمد سليم رشدان

وتمدح ، فالمديح مقال حق ،   وتفرض ، حين تنقد ، الاحتراما ،
وتحيي ذكر أفذاذ تواروا ،   فتبعثهم ، كما كانوا ، عظاما
ولم تك كالألى عنهم تعاموا ،   أضل الناس من عنهم تعامى !
أكنت مكلفا بالموت ، تنفي   عن الموتى وعنه الاتهاما ؟!
متى يسقط أديب ، يا لمجد   أديل ، ويا لكبر ما استقاما ،
ومن عجب ، يموت ثري مال ،   فنستسقي لذكراه الغماما ؛
وان غاب المفكر عن بلادي ،   لبثنا ، في توافهنا ، نياما !!
ولولا سادة الاقلام فينا ،   لما رفعت بلاد العرب هاما ،
ولولاهم لضيعنا تراثا ،   وما صنا مآثرنا الجساما ،
ولولاهم ، لكان الارز نبتا ،   وكان النيل ماء او رجاما ،
ولولاهم ، لما احلولى فرات ،   ولا الاردن في عز أقاما ،
ولا مالت لاندلس قلوب ،   وعانقت الجزيرة والشآما !!
أناملهم تطوف على الثريا ،   وترعى للحضارات الذماما ،
اذا اقلامهم نفثت حروفا ،   رموا سهما، او امتشقوا حساما!!

ندي الخلق ، لم اعهدك الا   رفيع هوى ، ووثابا هماما ،
أبيا كنت ، تولع بالمعالي ،   وتنفض عن مشاغلك الرغاما ،
اذا وافاك ظلم أو ظلام ،   جبهت الظلم ، واجتحت الظلاما!!
وسعت بقلبك الدنيا جميعا ،   ولم تنجز بدنياك المراما ،
ومن عجب الدواهي أن تواري   يدا غرا ، وقلبا مستهاما !!

نجي الحرف ، لم نخفر ودادا ،   ولم نسل المروءة والوئاما ،
ونحن ، وان تباينت الاماني ،   بحبل الود نعتصم اعتصاما ،
مذاهبنا شتات ، غير أنا   نحاذر في مذاهبنا الخصاما ،
فهل دين يجيز لنا اقتتالا ،   وهل خلق يسيغ لنا انقساما
وهل وطن أردناه عزيزا   يشاطرنا ضغائن وانتقاما ؟!
تلاحينا . تنابذنا . تناءت   مسالكنا . تساقينا الحماما ،
اذا كانت ((فلسطين)) منانا ،   أنرمي غير مرماها السهاما ؟!
أنبدو بين أهلينا أسودا ،   ونغدو بين أعدائنا نعاما ؟
أيقتل بعضنا بعضا ، ونلهو   عن المحتل ، نقرئه السلاما ؟!
سألت الله غفرانا لقوم   الى الشحناء أمرهم ترامى ،
كأن دم العروبة حال ماء ،   فحال الحب بينهم حطاما !!

دعوتكم الى الود المصفى ،   وقد طاف الردى فيكم وحاما ،
دمانا ، لن نفرط في دمانا ،   هنانا ، لن نصيره سقاما ،
علانا ، لن يطاوله شموخ ،   ابانا ، لن نحوله زحاما ،
سننقذ ارضنا من غاصبيها ،   سنكفر بالمجيدين الكلاما ،
سنمحو عار أمتنا ، سنحيا ،   ولن نحني لغير الله هاما !!

ويا رجلا يغيب ، وفي بلادي   على العدوان محتل أقاما ،
سألتك ، لا تلم وترا شجيا   يهيم بأرض أمته هياما ،
أنا الوتر الشجي ، نذرت لحني   لتاريخ رفضت له انحطاما ،
فتاريخ العروبة لن يدانى ،   وتاريخ العروبة لن يضاما ،
سألتك ، لا تلم وترا شجيا   يحاذر ان يعاتب أو يلاما ،
اذا اغمضت جفنك ، نم هنيئا ،   فجفنك ما تعود ان يناما !!

فوزي عطوي

قفز الى ذهنه سؤال جديد :

— ترى .. هل ستكون هذه ايضا من القطيع ؟..

اليست متميزة ؟...

لقد قرأ في عينيها البنيتين سيرة جديدة لم يقرأ مثلها في اية عينين مرتا به او مر بهما ، فهل يتابع الطريق ويدخل معها تجربة جديدة، ام يكتفي بما في صدره من سهام ؟..

كان يومئذ جالسا في مكتبه بادارة الجريدة يدخن وحيدا ، ويتسلى بقذف بعض الكرات الورقية الصغيرة من بين اصابعه ، عندما ارتفع رنين الهاتف وكأنه يلح باصرار ..

— انت الاستاذ صبحي .. اذا لم يكذبني حدسي ..

— حدسك صادق ..

— انا نجوى حلمي .. هل عرفتني ؟.

— انت احدى بطلات مسرحنا ..

— وهل لقب البطولة رخيص لديك الى هذا الحد فتمنحه لاول هاتفة ؟..

— لست اول هاتفة كما اعتقد ..

— معنى هذا انك تمنحني بقايا اللقب .

— اعرفك ممثلة بارعة على المسرح ، لكني اكتشفت الان انك محدثة لبقة ايضا ..

— ما دمت بارعة على المسرح ، لماذا اهملني قلمك حتى اليوم ؟

— لا تزالين في اول الطريق ..

— بل قل ان غيري يحتل الدور الآن ...

— احكامك جائرة .. مهما يكن ؟ فهل هتفت لي لهذا ام لسبب آخر؟

— سأكذب عليك اذا تعذرت بسبب آخر ..

— تعجبني صراحتك ..

— هل اعتبر الموضوع في حكم المنتهي ؟..

— انا لا اقرر اموري بمثل هذه السرعة ..

— اذن لا بد لنا من لقاء ..

سأتصل به مرة ثانية ..

★

السؤال يلح عليه .. السؤال نفسه الذي كان يلح عليه كلما وجد نفسه امام تجربة مع واحدة من الباحثات عن الشهرة في الصفحة التي يشرف عليها بالجريدة .. آخر واحدة في قطيع هؤلاء الصبايا كانت ايضا فتاة على المسرح ، زميلة لنجوى هذه ، جاهدت كثيرا حتى استطاعت ان تثبت قدميها على الخشبة ، وتألقت بين الاضواء التي وجهت اليها من هنا وهناك ، ولكنها وجدت ان هالتها ناقصة اذا لم يكتب قلم صبحي شيئا عنها .. دعته الى عرض مسرحية كانت تمثل

الصلصال

بقلم جان الكسان

فيها دور البطولة ، واعطت يومها عطاء باهرا .. وعندما دوت القاعة بالتصفيق ، كان هو واحدا من المصفقين ودارت عيناها في الصالة تبحث عنه حتى وجدته ، فانحنت قليلا وابتسمت شاكرة .. وكتب عنها : « انها الاولى بين الواقفات على خشبة المسرح في البلد » ..

ومر عام ، فاذا هي تدلي لاحدى الصحف بتصريح حول بعض الامور الفنية .. وتأكد صبحي وهو يقرأ الحديث ان الغرور ركب رأسها



الصغير .. خاف عليها من هذا الغرور ، فاتصل بها يحذرها من نتائجه .. وكم كانت الصدمة قاسية عندما قالت له : انا اعي ما اقول .. واعرف حدود طريقي .. ثم لا تنس انني لست ممثلة ناشئة .. ولا تنس ان النقاد يقولون عني انني الفتاة الاولى على خشبة المسرح ..

واصبحت في آخر القافلة .. سقطت .. تهاوت الى الادوار الثانوية .. اصبحت في الظل .. وهذه الجديدة .. هل ستكون مثل الاخريات ؟. هل ستنتهي بدورها الى الغرور والضياع ؟. هل يدخل معها التجربة ؟..

★

رن الهاتف .. عرفها هذه المرة من صوتها :

— اهلا نجوى ..

— كيف عرفت صوتي ؟..

— ارجو الا يضيع مني بعد اليوم.

— الم تكن تنتظر مني مكالمة طيلة الاسبوع الماضي ؟.

— اصدقك القول : بلى ..

— اذن .. فنحن الان في سبيل التفاهم .. هل استطيع ان اسرق من وقتك ساعة نجلس فيها ونتحدث ؟.

— اين ؟ ..

— في بيتي .. في المقهى .. في الشارع .. على العشب في طريق قرية دوما ..

— الاقتراح الاخير يوافق مزاجي ..

— مزاجك غريب ..

— انني ابحث دائما عن الاشياء المختلفة ...

في الطريق الترابية الى قرية دوما قالت له : حول المدينة مناطق كثيرة اجمل من هذه المنطقة .. انها فقيرة .

— انت اقترحت المكان ...

— ولكني طرحت الاقتراح دون

تفكير .. انه اول اسم مر بذهني .

ــ ولهذا اخترته ..

ــ ولكنها منطقة فقيرة .. وسواقي المياه فيها ضحلة .. وهذه الروائح ؟..

ــ مرة .. وكان ذلك في ريف الشمال ، وكنا نحصد الشعير .. عطشنا ولم يكن هناك ماء سوى غدير تكومت فوق مياهه جثث الجراد التي سقطت بمبيدات دائرة الزراعة .. ازحنا جثث الجراد.. وشربنا ..؟

ــ « اذن .. فعلي ان اقبل المكان ولو كان زريبة بقر » .. كان يدرك انها ممثلة بارعة ولكنه لم يكن ليتصور انها بارعة في التمثيل على طريق قرية دوما ، كما هي بارعة على خشبة المسرح ..

وسألته فجأة : هل انا جميلة ؟.

ــ ماكياج المسرح يفسد جمالك الطبيعي ..

ــ ما اجمل ما في ؟..

ــ عيناك ..

ــ ارجو الا اكون بالنسبة لك مجرد عينين جميلتين ..

★

على المسرح ...

هذه المرة بدت اكثر تألقا .. اعطت عطاء باهرا ، وعندما دوت القاعة بالتصفيق كان هو واحدا من هؤلاء المصفقين .. وتبدل المشهد .. وفي ذروة تأزم احداث المسرحية في المشهد الثاني ، قدمت هي منولوجا بديعا من الاداء الفردي ، فالتهبت الاكف وهي تصفق لها ، وكان هو يصفق فرحا ، ورأته فرمقته بعينين شاكرتين ..

وعندما انسدل الستار هرع الى الكواليس ورمى معطفها على زنديها العاريتين ، ثم سحبها من يدها الى اقرب سيارة ..

ــ كنت اليوم رائعة ...

ــ هل اعجبتك ؟. انني مدينة بنجاحي لتشجيعك ..

ــ يسعدني ان اراك متفوقة ..

ــ هل لديك ملاحظات تبديها حول دوري ؟.

ــ لقد ارتكبت مخالفة لا اريد ان تتكرر مرة ثانية ..

ــ وما هي ؟..

ــ نظرتك الي وهزة راسك .

ــ ولكني كنت اشكرك ..

ــ كنت تمثلين مشهدا من المسرحية .. والممثل على المسرح يجب ان يكون منسلخا عن الجمهور ...

ــ في المسرح الحديث لا يحدث هذا الانسلاخ .. مع هذا سآخذ برايك ..

ــ لم تطلبي الي ان اكتب عنك ..

ــ لم يعد يهمني ان تكتب عني للناس ما دمت انت راضيا عني ..

ــ حديثك هذا يذكرني ببراعة طالبات المدارس في تملق الاستاذ قبل الفحص النهائي .

ــ وهل امامي امتحان قادم ؟..

ــ الغرور .. انه آخر سهم في جعبة التجربة ..

★

وسقطت بدورها .. بعد عامين فقط .. لم تستطع ان تقاوم اغراء الشهرة .. خدعها بهجرها ، وبدأ الغرور يحرق في عينيها ذلك التألق.

كانت تحمل « البوم » المقالات التي كتبها عنها صبحي وتتحدى به زميلاتها .. بل انها بدأت تطلق تصريحات غريبة ، « خشبة المسرح ضيقة .. ان المسرح يخنقني يجب ان انطلق الى اجواء اخرى .. الى السينما » ..

وعندما ضمتهما جلسة عرف انها تلحق حثيثا بالقطيع ، حتى طريقة اشعالها السيكارة تغيرت .. لم يقل لها شيئا .. كان ينعي في اعماقه التمثال الاسطوري الذي ظل ازميله يحدد ملامحه لتبدو واضحة ، نبيلة .. كبيرة .. فاذا به يتهاوى ويتحول الى كومة من الصلصال الرخيص ..

وبدأ الموسم المسرحي الجديد .. عرف انها ستكون بطلة المسرحية الاولى.. دخل الصالة ليلة الافتتاح وجلس في الصف الاخير .

على الخشبة كانت الصبية الرائعة تتعثر بأثواب الفشل .. وفي قلبه كان مطر اسود يهطل بغزارة ..

دمشق — **جان الكسان**

السفر

يا واحة خضراء في الصحراء   أترين كم ظمأي وكم اعيائي
مائي سمو الروح منك ، وراحتي   والفكر مشتعلا بنور ذكاء
فاذا هما حلا بفينوس انتهى   سفري اليك وحيرتي ورجائي
كل لواحته يواصل سعيه   والواصلون قلائل السعداء
اني لاغبطهم وأعلم أنني   سأظل رهن ضلالتي وشقائي
حسبي من الفردوس.. حسبي نظرة   اني لسهل في الهوى ارضائي
لكأنما الحرمان في كاساته   حتم علينا معشر الشعراء

الكويت — **صلاح عيد**



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

***

الشاعر والقمر

كان من عادتي ، وانا طالب في كلية الآداب ، ان اتوجه الى قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية بالقاهرة ، للاستماع الى المحاضرات العامة ، التي يلقيها كبار الاساتذة من الكلية او خارجها في فنون الآداب المختلفة..

وكان من أهم هذه المحاضرات التي احرص على حضورها، قراءات في الشعر الانجليزي ، يقوم بأدائها الاستاذ سكيف ، استاذ الادب الانجليزي .. وكان سكيف الى كونه استاذا للادب ، ممثلا مسرحيا قديرا ، كما كان ذا حنجرة ذهبية موهوبة ، فكنت احب ان اسمع منه الشعر الانجليزي ، مفصلا ..

كان الساعي يحمل اليه صفا من دواوين الشعر المختارة ، يرصها امامه على المنضدة ، كالعمارات الشاهقة .. وهو في وقفته من ورائها ، يخرج ما وقع عليه اختياره منها ، ويفتحه على الصفحة التي حددها ، وبعد ان يلقي تقديما موجزا ، يمضي في قراءته التمثيلية الرائعة ، وبالقائه الساحر الجذاب ..

وسمعته مرة يلقي قصيدة عنوانها « المنصتون ».. للشاعر والتردي لامير .. فتركت قراءته في نفسي اثرا عميقا .. ويحسن قبل المضي في الحديث ان نعرض لنص القصيدة وهذا هو :

« هل يوجد من احد هناك ؟ » هكذا قال المسافر.. وهو يطرق الباب المضيء بنور القمر .. بينما راح جواده في صمت يلوك الحشائش على ارض الغابة المعشوشبة .. وخرج طائر من البرج فمر من فوق راس المسافر !. وراح يقرع الباب من جديد مرة اخرى ، وقال : « هل يوجد من احد هناك ؟ » .. لكن احدا لم ينزل للقاء المسافر ، ولا مالت راس من خلال دفة الباب لتنظر في عينيه الشهباوين ، حيث يقف متحيرا ، صامتا .. لم يكن هناك غير جماعة من الاشباح المنصتة ، التي تسكن الدار المنفردة ، وقد وقفوا يرهفون السمع في سكون ضوء القمر ، الى ذلك الصوت القادم من دنيا البشر .. كما راحوا يزحمون اشعة القمر الخابية على الدرج المظلم، الذي ينزل الى البهو الخالي ، منصتين في هواء لا يحركه او يهزه غير نداء المسافر وحده .. لقد احس غرابتهم في قلبه ، وسكونهم يجيب على صيحته .. في حين تحرك جواده يقضم الاعشاب المظلمة ، تحت السماء المكوكبة المورقة .. لانه قرع الباب فجاة ، بأعلى مما فعل من قبل ، ورفع راسه قائلا : « قولوا لهم انني حضرت ، ولم يجبني احد ، واني وفيت بوعدي » .. ولم يقع المنصتون باقل حركة ، ولو ان كل كلمة قالها تردد وقع صداها خلال الظلمة المبهمة للدار الساجية عن الرجل الوحيد الذي بقي مستيقظا .. نعم ، لقد سمعها صوت قدميه في الركاب ، ووقع الحديد على الحجر ، وكيف راح يجين الصمت ، وهو يعود برفق ، بعد ان كانت الحوافر المتوثبة قد مضت في سبيلها » ..

تأثرت بهذه القصيدة ، فقد احاطتني بجو رهيب ، هو جو الصمت الحاكم الذي تجري فيه الاحداث ، والابراز الواضح لدقائق الحياة خلال هذا الصمت ، وهي الدقائق التي لا تأبه بها اذن ، اذا كان المنصتون من البشر ، وليسوا من الاشباح .. وكان هناك ايضا شيء آخر ، جعل ذهني يلتفت التفاتة جديدة ، وهو وقع كلمة « طرق الباب المضيء بنور القمر » .. فيما كان يصوره سكيف من القائه التمثيلي الرائع .. لقد اعطاني وقع هذا الصوت وانا اتابع قصيدة بالانجليزية للمرة الاولى معنى آخر ، هو ان هذا الباب المضيء كان هو باب القمر نفسه .. فالقمر ذاته باب ، والطارق يدق بيده عليه ، بعد ان صعد اليه على رؤوس المرتفعات .. واذا فتح الباب ، فسيدخل الطارق ، وهو شاعر من البشر ، الى عالم السماء مباشرة .. وسوف يلتقي هناك باشباح ، قد تكون من الملائكة ، وقد تكون من الجن ، وقد تكون اي شيء آخر غير ان تكون بشرا مثله .. وحينما يفتح الباب ، فسوف يتجول الشاعر في بلاد القمر .. وسيرى

العجائب .. ولا بد انه سيرى الحوريات ، وسيتحدث اليهن ، وسيبثهن غرامه .. وستقع حوادث .. وما دمنا في القمر فلا بد انه سيقع الخسوف بشكل او بآخر .. وهكذا راحت تتكون في خيالي بسرعة عجيبة ، قصيدة اخرى مختلفة كل الاختلاف عن قصيدة والتردي لامير.. لان خيالها عربي ، وقالبها عربي كذلك .. وان تميزت بشيء مما اقتضاه التجديد يومئذ ، من محاكاة بعض القصائد الغربية ، وخاصة في وضع عناوينها .. وهكذا عندما انتهت هذه القصيدة .. كان عنوانها الغريب هو « اشعة من الباب الفضي » ...

وقبل ان امضي في الحديث ، اسأل نفسي : هل لهذا الاعتراف قيمة ؟ ولماذا رحت اذكر والتردي لامير وقصيدته في هذا المقام ، وهو مقام الانصاف الذي يسعى فيه اي شاعر يقف هذا الموقف ، الى ان يذكر لنفسه كل محاسنها ، وان ينسب لها كل الفضل دون سواها ؟!..

لقد اشرت اشارة عابرة فيما سبق الى شعراء كانوا ينقلون عن الانجليزية ـ وهي المصدر الغالب يومئذ ـ صورا واستعارات وتشبيهات ، ليست عربية الاصل ، وينسبونها الى انفسهم ، لتأكيد عبقريتهم من جهة ، ولاعتمادهم على قلة من يقرأ في المصادر التي نقلوا عنها من جهة أخرى .. واذا كان هناك من يقرءوه في تلك المصادر ، فليس من الحتم اللازم ان يقفوا على نفس الغنيمة المسروقة ، ليعرفوا من اين اخذت !.. هذه قضية دقيقة في الواقع ، وليس من حقي الاتهام دون ان اضع النصوص والمصادر جنبا الى جنب ، وهذا ان كان يحضرني بعضه يومئذ ، فلا يحضرني اليوم منه شيء يغني .. والمهم هو انني ارى ان بناء الادب يجب ان يقوم على اساس من الصدق .. ولا اعني بذلك الرجوع الى ما تساءل عنه القدماء ، هل اعذب الشعر اكذبه او اصدقه ! كلا ولكني اعني بالصدق ان يكون الشاعر ذا شخصية ادبية قوية ، متمكنة ، لا يعتيه الا قول الحقيقة ، ما دام في اصل رسالته باحثا عن الحقيقة ، وفي نهاية رحلته طالبا الوصول اليها .. ولعمري اليس يقال ان الشاعر له رسالة؟. فالرسول اذا يجب ان يكون صادقا في الايمان برسالته ، وفي اداتها على الوجه الصحيح .. واذا لم يكن الشاعر هو الناقد الاول لشعره، فليس بشاعر ذي رسالة .. ومن اخص خصائص الناقد ان يكون صادقا ..

على ان قصيدة « اشعة من الباب الفضي » .. بحاجة في عرضها الى كل هذا الدفاع . فانها ليست متأثرة بشيء من قصيدة والتردي لامير .. ولكنها قصيدة عربية خالصة ، وكل ما ذكرته هو بعض الملابسات التي احاطت بنظمها ، وكيف تكونت فكرتها .. وهي أمور تهم نقاد الادب ، كما تهمهم معالجة النصوص ، وتفصيصها لمعرفة نوع الجوهر من البهرج الذي تحتويه !

تبدأ القصيدة مباشرة هكذا :

طرق البدر .. وهو باب من الفضة .. فيه أشعة وضياء
طارق في السماء طرقا عنيفا ردّدته المشية القمراء

مر يعلو على الخيالات والاشباح ، والنخل ، والقرى المهجوره
روع الكائنات ثم تلاشى غارقا في بحار ضوء منيره

فصغى الطارق الغريب مليا في ذهول ورغبة استطلاع
وارتقى في تعنت يطلب البد ر وحيدا على رءوس التلاع

فيلسوف ، يظن من صفحة البد ر .. لقصر على السموات بابا
ويرى القصر للورى دار خلد قد اعدت للعاشقين مآبا

واذكر انني عرضت هذه القصيدة يومئذ على الاستاذ الكبير احمد حسن الزيات رحمه الله ، لنشرها في « الرسالة » .. فكانت القصيدة في نظرة من شطحات الشعر الجديد يومئذ .. الذي يقف منه الزيات موقف المحافظة .. ولذلك لم يجد غير هذا البيت الاول من الصمد الاخير . فقال لي : هل تريد ان تقول « فيلسوف يظن من صفحة البدر بابا .. لقصر على السموات » ؟ قلت : نعم ! فقال لي : ولماذا كل هذا التقديم والتأخير ؟ لماذا لا تصل الى ما تريد مباشرة ؟! ثم انه لم ينشر القصيدة بناء على هذا الخطأ الجسيم !

وتمضي القصيدة بعد ذلك تصف استجابة الحور الساكنات في القمر ، لهذا الطارق القادم من الارض .. وكيف اصابه الذهول حين ادخلنه الى ساحة القمر ، واغلقن خلفه بابا فضيا له صريف، او صرير ! وكيف راحت تغويه الحورية التي ترافقه ..

كشفت ساقها ، كما فعلت بلقيس .. في صرحها .. قديم الزمان
ذاك صرح ممرد من قوارير ... وهذا ممرد من جمان

وسارت به الحوريات في صخب من الضوء ، وغنينه لحن « بدر البدور » . واجلسنه على « مذهل النور » .. وهو أسم مكان من الذهول ..

ثم غنين بالغناء النعاسي .. فاغفى واسبل الجفنين
ليت شعري ماذا راى من بحار التبر .. في حلمه .. وذوب اللجين

قد تغنى في نومه بلحون من فنون جديدة الاشعار
لم يزل ينشد القصائد غرا ناصعات ، كأوجه الاقمار

انه شاعر .. فمن ادخل الشا عر في البدر ، يا بنات الضياء
فاجابت جنية : هو في الار ض غريب .. كسائر الشعراء

ثم بدأت بعد ذلك قصة خوف الشاعر، واصفراره، ثم موته .. ودفنه في القمر .. وهو خيال بعيد .. يسبق ما جرى ويجري الآن في خيال الانسان المتحضر ، وهو يركب الصاروخ ، وينزل فعلا على الارض القمرية ، يجمع منها التراب والحصى ، لينفع العلم ويفيده فائدة محققة ..اما شاعرنا فبعد موته ودفنه في القبر المنير بدأت قصة الخسوف .. فاظلمت الدنيا ، وخرج المشيعون في الارض يدقون النحاس ، ويطلبون الاطلاق

للقمر مما يعانيه من خناق ..

حفر الغانيات في البدر قبرا ... لم يزل آخر الزمان منيرا
ثم غسلن شاعر النور بالنو ... ر ، ولكن كفنه « برفيرا » ..

والبرفير ، هو الارجوان .,. فارسية معربة ..

واعتلى الناس تلعة الارض ليلا ... فاذا البدر في السما مخسوف
واذا في احمراره أشباح ... خلف باب من الحديد وقوف

علموا انهن جنيات ... بدفوف يندبن ميت الاناسى
فبكوا شاعرا على البدر ميتا ... ثم دقوا النحاس فوق النحاس

ثم لاحت اشعة خنقتها ... من خلال الباب القديم سيوج
هي الحان شاعر .. تخذ البد ... ر ضريحا .. حتى يحين الخروج

ويمكن قبل ان انتقل من هذا الموضع ، ان اذكر دفاعا جديدا هو آخر دفاع عن استقلال هذه القصيدة.. فعندما تصفحت ديوان « اليخت الذهبي » الذي عرض شعر هذه الفترة اخيرا ، وجدت فكرة القمر شائعة في اكثر قصائده .. شيوعا ظاهرا .. بل ان فكرة الوصول الى القمر كانت هي المسيطرة دون سواها ، او أكثر من سواها .. حتى لقد تخيلت حبيبنا في القمر اريد الوصول اليه ، فلما عن هذا الوصول كتبت اليه خطابا .. في مقطوعة بعنوان « من رسالة الى البدر » .. وهي في الواقع مشروع قصيدة ، على اصماد جديدة ، ولكنها لم تتم ، وهذا هو الصمد الذي بقي منها ، ونشر وحيدا في الديوان ..

الى البدر أكتب هذا القصيد ... وابعثه في بريد السماء
ليلحق بابن اللجين العتيد ... على شرفات البها والضياء
فليت حبيبي الذي في السماء ... وفي دارة السحر .. عند السحر
يرد الي رسول الوفاء ... ويكتب لي عن بلاد القمر

لتشرع روحي اليه السفر !

ثم مضت سنوات عدة ، تزيد عن العشر سنوات.. تخرجت في اثنائها في الجامعة ، وعملت في التدريس ، وسافرت منتدبا الى البلاد العربية .. وكانت اقامتي من السعودية في مكة المكرمة .. كان المعهد العلمي ومدرسة تحضير البعثات فوق جبل الهندي ، المعروف في التاريخ بجبل قعيقعان .. وكنا نجتمع في ليالي الصيف ، على سطح هذا البناء العالي ، لتصحيح اوراق الامتحان على ضوء « الاتريك » ... فاذا نظرت فوقي راعني منظر السماء المكوكبة .. لا كما يقول والتر دي لامير في هذه المرة .. ولكن في صورة اشد روعة وتأثيرا .. فالنجوم البعيدة تبدو قريبة ، كبيرة الحجم ، متلألئة بنورها ، وهي كثيرة جدا ، كأنها القناديل المعلقة .. وفي بعض الليالي الصافية رأيت القمر باهرا ، يفيض نوره في صفحة السماء ، كبحر من الفضة الرائقة .. عند ذلك كتبت شعرا ، لم اخرج فيه عن الفكرة القديمة ، وهي صعود الانسان الى القمر ، ومرة اخرى الى النجم .. على انني لم اجد من آثار هذا الشعر غير مقطوعتين ، من قصيدتين لم يكمل نظمهما ، احداها عن القمر ، والثانية عن النجم ..

وهذه ابيات من الاولى .. بعنوان «شاطىء القمر»:

مدينة ظهرت في شاطىء القمر ... شفافة القصر والبستان والشجر
كأنها مرفأ تجري زوارقه ... في ساطع من شعاع الموج مزدهر
من خفة السمك الطيار سرعتها ... ووثبها مرح الاطفال في الصغر

بعثت فيها خيال الفكر مبتهجا ... في زورق ذهبي اللون جذاب
تصيح في الليل من تجديفه لجج ... في منظر فاتن للعين خلاب
وتعزف الجن الحانا لتفزعه ... فلا يبالي ، ويمضي غير هياب

رأيت بحرا وراء الافق منبسطا ... له الزمرد والياقوت امواج
ومرفأ صاخبا بالنور مؤتلقا ... فيه الخيالات والاشباح افواج
وساحلا قاحلا .. لكنه عجب ... رماله درر ، أجباله عاج

وقلت : هذا جمال لا يحركني ... فانه صامت في النور وسنان
كأن شاخصه تمثال غانية ... غرامها نائم ، والفن يقظان
فضقت ذرعا بحسن لا حياة به ... وصحت: ويحي،اما فيالبدر انسان

فقام دوني ظل لست أبصره ... لكن يخاطبني همسا فأسمعه
فقال: في البدر واد .. يقطعه ... جن يجن,. فمهلا ، كيف تقطعه
لكنه شاطىء تغني مناظره ... هيا ! فسرت وراء الظل أتبعه

مشيت بالشاطىء الفضي في حذر ... حتى دخلت وراء الظل بستانا
بصرت بالزئبق المسحور منسكبا ... والروض ينبت ياقوتا ومرجانا
فقلت للنفس : ويحي ، انه عجب ... فهل أرى من خلال الروض انسانا

بصرت في الروض عن بعد بساقية ... يديرها في الدجى ثور من الذهب
يشدو بلحن كريه .. ثم يقطعه ... صمت الدياجي، وتعلو السن اللهب
ولم تكن تكشف النيران خافيها ... حتى صرخت بجوف الليل:واحجبي

من الخيالان فوق الشط قدجلسا ... رأس الى اختها ، والماء للقدم
اغادة كشفت عن حسن منظرها ... وفارس قد تبدى غير ملتثم
ترنو الى وجهه والعين حالمة ... فيستجيب لها عن ثغر مبتسم

وربما قلت كناقد ان عبارة « أما في البدر انسان ؟ » تتضمن التفاتة الى قصيدة والتر دي لامير السابقة ايضا .. كما ان الصمد الاخير عن الخيالين الجالسين على حافة الماء ، يشير بالتأكيد الى قصة « ايزيس واوزوريس » المصرية .. التي كنت قد بدات نظمها في ذلك الحين دون شك .. ولكن الذي يؤسف له حقا هو ان هذه القصيدة لم تتم ، ولم يتيسر لي السير فيها مع الخيال لغايته .. ولعمري انني لاجد من الزيف اكمال قصيدة وقف فيها الخيال عند مرحلة معينة ، فلم تتم في وقتها .. اما القصيدة التي تحدثت فيها عن « النجم » فهي ابيات ايضا من عمل جميل لم تتح لي فرصة اتمامه، فانقطع به الخيال عند موقف معين .. وعلى كل حال فهذه هي الابيات :

تسلقت نجما في الدجى عالي الذرا ... فماذا رأت عيناي؟ اعجب ما ترى
هناك على عرش الظلام مدينة ... متوجة الهامات ، وهاجة الضحى
اذا بعدت كانت يتيمة جوهر ... وان قربت لاحت كساهرة القرى
حدائق يسري نفحها ذات بهجة ... تحيط بمنثور القصور على الربى

وارض يشع النور من جنباتها — وكيف يشع النور من باطن الثرى
وطير عجيب ما تسير بأرجل — وناس عجيب ما يسيرون في الفضا
نظرتهم لا يهرمون لحادث — فما وقعت عيناي الا على فتى
جسوم من الانوار حشو اهابها — مضاء ، وفي اجلادها مجمع القوى
وعذب لسان ان سمعت حديثهم — وان هو لم يقرن بسيدة اللغى
وعارضني منهم على السير صاحب — فصافح في جم التأدب واحتفى
وقال: نزلت النجم أهلا ومرحبا.. — فقلت: نزلت النجم..والويل ان هوى
تناثر في الاكوان كل شظية — وتهوي على الاجرام مشبوبة اللظى
وتذرع اميال الفضاء كأنها — قصور تهاوى ، لا تقر على الهوا
ولو ان اخراها على الارض لم أكن — لاحفل ما دامت لي الارض منتهى
ولكنه قبر الفضاء .. فضيعة — لمنتثر الاشلاء في قبة السما

ولو استمر الخيال في هذه القصيدة ، لجاء منها بالعجب العجاب .. ويكفي ان ننظر بعين النقد الى موضع او موضعين في هذه الابيات .. فالبيت الذي يقول :

وطير عجيب ما تسير بأرجل — وناس عجيب ما يسيرون في الفضاء

يشير تماما الى فكرة « الوجود العكسي » التي سبق شرحها بتفصيل في المقال السابق .. واما البيت الذي يليه ، وهو :

نظرتهم لا يهرمون لحادث — فما وقعت عيناي الا على فتى

فانه يشير الى نظرية علمية دقيقة أثبتها اطلاق الانسان الى القمر ، في المراكب القمرية اخيرا .. فقد ثبت من التجارب العلمية ، ان جسم الانسان يزداد مناعة كلما انطلق في طبقات الهواء العليا ، وتخلص من الغلاف الجوي المحيط بالارض .. وهي فكرة نجدها في الكتب السماوية ، حين تتحدث عن دخول البشر بعد الحساب الى الجنة او النار « خالدين فيها ابدا » .. فلعل من خصائص الحياة بعيدا عن الارض ان تتخلص فيها الاجسام من الموت ، وتجد من نفسها مناعة ضده ، تحملها على البقاء بقاء دائما خالدا .. واما الحديث عن اللغة العربية بأنها « سيدة اللغى » في هذا العالم الجديد ، عالم النجم ، فهو دفاع عن الفصحى ضد العامية والرطانات التي تعمل على هدم قواعدها الثابتة .. كما ان الاشارة الى « قبر الفضاء » . وتناثر الاشلاء .. يعد وصفا سابقا باكثر من عشرين عاما .. لما يجري الآن في فضاء الكون البعيد ، لهذه المخترعات الانسانية ، التي تدور في انحائه ، لانجاز الابحاث العلمية ، التي كلفت القيام بها .. حتى اذا ضعفت ، وخارت قواها ، وتحطمت نتيجة تصادم او انهيار ، راحت تتناثر في الفضاء الى غير مستقر تقف عنده شظاياها ..

وكنت قد اقترحت على بعض الاصدقاء ، في شهر يونيه عام ١٩٦٩ التفكير في اعادة اصدار مجلة « أبولو » الشعرية .. ذات التاريخ الحافل .. ثم ذهبت في الشهر التالي — يوليه — الى شاطىء ابي قير بالاسكندرية لقضاء العطلة الصيفية .. وفي ليلة السادس عشر من ذلك الشهر ، اخذت تلح علي رؤيا عجيبة ، تحدثت فيها الى الدكتور ابي شادي .. حتى اذا اقبل الصباح كانت الصحف تحمل انباء وصول اول انسان الى سطح القمر ، وهو الاميركي ارمسترغ .. وربطت في الحال بين رؤيا الليلة الماضية مع محرر ابولو .. وبين وصول مركبة « ابولو ١١ » الى القمر .. فكتبت قصيدة طويلة بعنوان .. « عودة ابولو » .. قلت فيها :

هذي أبولو في السماء.. وصنوها — في الفكر تطوي شاسع الابعاد
كل الى القمر المضيء جبينه — ماضي السهام ، محدد الارصاد
ان يرجع العلماء منه بحفنة — من صلب أحجار ، وفضل رماد
فلكم اتى الشعراء منه بجوهر — للفكر يبهر خاطر النقاد
واستودع العشاق طي ضميره — در الدموع ، وراء ليل سهاد
هو صورة الحسناء عند سهومها — في عطر ورد بالحديقة ناد
وتقلب العذراء في أحلامها — رسم الخيال لها أحب مهاد
سبق الخيال العلم في خطواته — فجرالزمان .. بابعد الآماد

ثم قلت في ختام القصيدة :

ولتسر من ذكرى ابولو نفحة — للشعر طاف بها الهزار الشادى
قدكان عيد الشعر يوم صدورها — ورجوعها عيد من الاعياد
صعدت الى القمر المنير فحلقت — لتعود منه بأكرم الامجاد
واليوم بالرواد ترجع ، مثلما — رجعت ابولو العلم .. بالرواد

وهكذا كانت الصلة الاخيرة بين الشاعر .. والقمر!

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

المصادفات

حياتنا الشقاء والعذاب والجنون
وساعة نصادف السراب والفتون
فربما يضمنا طريقنا الحنون
وتلتقي عيوننا ونسدل الجفون
فحولنا الشفاه والانوف والعيون
وكبرياء ظننا ، وخوفنا الظنون
تصافحت أكفنا أصابعا (يعون)
كأنه تشابك الورود يا غصون
ولم أقل .. ولم تقل .. وتصرخ الشجون
ونطبع الحديث قبلة على السكون
وعابر حديثنا مغلق الفصون
وتنطوي دقائق كما انطوت سنون
ونعبر المصادفات كيفما يكون
ونطلق الوجوه في الدروب والشئون
نسير مغلقين في السجون كالسجون
عقولنا تقودنا وقلبنا يخون
وينكأ الجراح فالغرام لا يهون

القاهرة — عصام الغزالي

المدينـة .. الشارع .. السـرقم

●

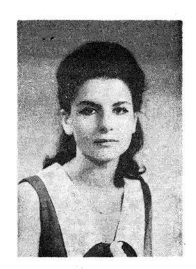
هدى اديب

●

الشارع للتدمير ـ الرقم ، رقم ما
المدينة مقلوعة تسكن فيها اصداء
لاسترجع في احشاء التمرد
هجـير الحادي
يغدو فيه لهاث الماضي
الكواكب تلمس اللفظة
الناس في ازقة ـ الناس في تربة مفتوحة
الرجل لا يريد ان ينهزم ـ لا يعرف الخجل
مـن الموت ابتكر الحرب
رؤوس تطل من الماضي ـ تتشكل من جديد
ستصبح اختلاج ولادة
غرستكم في شتاء الضجر
أرويكم كالظـلام الكسيح
كالرعد في صندوق ترك مفتوحا
انصتوا ـ استمعوا
العامة تنحدر صراخا
الخنادق تطلق شذى من الكبريت المحروق
الجثث لمحة من الارض
تفرش اللحظة للمنتهى
انفض عن ثيابي الاصداء
طحنت الاصـوات
انزل للشر المستطير لينقل الحقد للتثاؤب
رؤوس الاموات تطلع من فوق القبور
ينظرون مرتعبين ـ جاء البعد .. ليحرق شعرهم
أجسادهم مغطاة بالطحين
أجبلهم بالفقـر
يتمتمون ـ بطن المحار هابط بالجوع
ستتمدد علـى الضيـاء
يحصـد العتـم .

ـ ٢ ـ

اني متهمة ، انعلت اطفالا حفاة
في فك ضخم بالشتائم ـ تحجر مفتوحا
الشارع عضو من المستقبل
الرقـم المتـاه
لن تبقى غير معابد ومحاكم
المنازل تلفها شراشف منسدلة
دليل علـى الحداد
ندخل المدينة ـ ندخل الفك
تمددوا على بقايا الاجنحة على الغضب
بين الرعشة والرفة
يحط الطير على الانتظار
سأحط كطير على اكتافهم
بالامس كانوا يتلاقون للصلاة
بالامس اجتمعوا ليبقى كل منهم منعزلا ـ منفردا
اليوم يجتمع الناس في المعابد ـ لن يصلوا
لـــن يخشعوا
نحن مدانون ـ نحن متهمون
كنتم ثلاثة تتشبثون بثياب اللحظة
فتحت عيونهم عليكم
كبرتم قبل جنسكم



جنسهم بقـي صغيرا
تمردوا ـ لفتوا انظار من يلمح المشهد
مـن يساعد اللحظة
مرت السنون ، والاول استمر في بيع المخدرات
الثاني بقي على الرصيف
يحمل للبيع ثـراء الراحلين
والثالث سجن لانه كان اقل شراسة
تمسح انفنا بأطراف ثيابنا

ـ ٣ ـ

كأغنية يقف الكلام ـ يستمر اللحن
هكذا صمته في القصائد
الشارع ـ حيث الناس ضد العاطفة
الرقـم الرغيف
تنتهي البئر ان احسست بالمجهول
من ظهري يأخذون الاشرعة
وجوه الجميع على ظهري
مثبتة مثل حديد ملتو
ماذا يفعل ؟ ماذا اصبح بهم ؟ ماذا جرى لهم ؟
سأتناول من كتفيك هتاف اليتيم
وآخذ من بعد ـ بلمسة افرغت كليا ـ
خنقته على الاشكال المتصاعدة
اللهيب يعـود
نبحث بين الابهام والسبابة عن شكل مجوف
يهتـز ـ يلتـوي
لنغرس فيه حسا متيقظا
اعطي لكل امرأة طفل مكتمل
لكل امرأة على كتفها ـ
امرأة لن يكون هذا لها ـ
ستتمدد كماء في سرير القبلات
الاولاد لن يتأثروا ـ لكن
الاطفال يكبرون مع الضحك
الشر دمار ـ تعرفت على الضحك
عطره استراح على ابخرة المصانع
تركت البذور ، تساق فراشة الى الداخل
ليلعب بها الضوء ـ لتلعب بالبذور
تلتهب ، وتفرزها الآلـة
الارض عابسة لن تغتصبها البذور
الارض يابسة لن تفترسها الجذور

ـ ٤ ـ

ملقط يلتقط الجميع
المشعل في يـدك
الظـلام في عينيـك
التعذيب فكـر الآخـر
الشارع اهتدى بمجهول مـا
الرقـم قطيـع مشلـول
بوق يذيع تحويل الافكار
مثل صوت ازميل على طاولة خشب
حيث جسد خفي منح نفسه للتصميم
ملقط عملاق يطاردكم
أحذيتهم على عتبة منازلهم
البيت بسيط
الاحذيـة للخـارج
ويداي ممدودتان فوق المناقل
تبحث عن جمر لا ـ عن وسيلة
تبحث عن رماد لا ـ عن تداعي
طرقات تدار للبحر ـ قطرة
على الطريق نساء تصطاد
الطرقات تهدي للبحر
الاحد ـ يكسر الحجر
أتناولك مـن الجمود
لاجعل من جسدك اللحظة الآتية
أوتوبيس ينزل راكبا خفيا
يغلق الباب يفتح ثـم ـ
امرأة ورجل ربطا من مفصلي يديهما
يؤرجحونهما كالاجراس من الجبل
بين شبكتين مملوءتين بالعقد
من الظهر ، من الصدر ـ ينزفان من ـ
امرأة ورجل أحبا الحقيقة

ـ ٥ ـ

انتظروا ـ هبني شيئا من الزمن
يشعل القش ـ
أجساد تبرم على دولاب التعذيب ـ حركة
يحرقون المرضى لكي لا ينتشر المرض من الحب
المضطهدون كتشنج عضلي ،
مضطهد مـن الجسد
انتظروا ـ أعطني من اللحظة
توزع اسمي في كل فـم
اني المولودة ـ المتوفية ـ المتزوجة ـ
العذراء والوجه الآخر
انهم يتكلمون عني
ينبغي لكم ان تبقوا دون اسم
من أراد التعرف عليكم
كان في لحظـة فـزع
انتظروا ـ هبني
لونا أصهب كنجمة بحر
يتغلغل شيئا فشيئا
قبل كـل عزلـة كتبت :
ممنوع الدخول ـ كتبت
على الحرية بعد كل انقباض كتبت
أعيدوا ـ أعيدوا ـ أعيدوا
لتنتفخ الكرة المستردة
انتظروا ـ فتـرة
ستقدم من تحويلين
توقف عند قدمك ـ ميعادا
سأجعل من يبحث عنك عاجزا
وأسرق مـا أعطيك
كان الشارع للتحرير
الرقـم ينتفض

هدى أديب



الدكتورة ثريا ملحس

امـا الكلمـة فبـاقيـة

بقلم الدكتورة ثريا ملحس

* * *

ايها السيدات والسادة ، تشدنا في هذا الحفل الكريم الكلمة ، والكلمة تقرب بيننا المسافات الشاسعة ، تذيب الحدود الطبيعية ، تحطم السدود المصطنعة ، فتبدو قريبة بشخصها حتى لو اضحى صاحبها بين الاموات . ففقيدنا الاديب غائب بجسمه ، حاضر بروحه ، غائب بلحمه ودمه ، حاضر بلسانه وفؤاده : «

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

عندما يتدفق الفكر ، يخرج من قمقمه متوهجا ، يحط رحاله في الكلمة ، والكلمة تبقى وراءنا ، تخلدنا ، تنطق بنا ، تتحدث عنا ، تربط بيننا وبين خالقنا العظيم، بيننا وبين الاخرين ، بيننا وبين المجهول ، بيننا وبين الموت ، فتنتصر على الموت لانها بعده باقية خالدة .

تشدنا الكلمة ، فينشد بعضنا الى بعض حاضرين كنا ام غائبين ، احياء كنا ام امواتا ، تبعث ما في القبور في احسن ذكرى ، في اصفى وانقى ما يكون التجريد لهذه الدنيا الفانية ، تتدفق حياة لانها غنية بشحنات من الخبرة الروحية ، باشعاع يخترق الرؤى ، والرؤى مؤلفات الفكر ، والفكر هو القلب والعقل والضمير والباطن مجتمعة معا ..

انا معكم بكلمتي ، اشاركم احياء ذكرى عزيزة علينا جميعا ، ذكرى الكلمة في احسنها واصفاها وانقاها. انتقل احد الذين يعرفونها مجتازا الدنيا الفانية الى اخرة الانسان الباقية . ذهب منه صورة اللحم والدم لتبقى معنا كلمته التي من اجلها سعى ، ولهث ، غدا وراح لتكون صادقة ، مخلصة ، وفية . رحم اللـه اصحاب الكلمة من الفنانين والادباء والعلماء والقادة ، وكل من التزم باحثا عن الانسان الصغير بصورته ، العظيم بكلمته ، الزائل بصورته ، الخالد بكلمته ، تلك الكلمة التي تربط بين هؤلاء الذين دعاهم جبران ابناء الكآبة ، القلقين ابدا ، العاملين الساعين الى الخير دائما ، « فالعلم » كما يقول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم « والمتعلم شريكان في الخير ، وسائر الناس لا خير فيهم » .

يقوم ، ايها السيدات والسادة ، نزاع ابدي بين الصورة اي صورة اللحم والدم ، وجوهرها اي الكلمة . وهذا النزاع يحتد ويشتد لدى « ابناء الكآبة » ، الملتزمين الذين يتحدون الفناء ، فيتركون وراءهم اثارا تخلد ذكراهم بعد انهيار الصورة ، وتبقى الذكرى كلمة تعزي الاهل والابناء والاوطان ، فتتناقلها الاجيال جيلا غب جيل ... تتجدد الذكرى كلما بعثت الكلمة .

فقيدنا الاديب كان احد « ابناء الكآبة » ، ملتزما بالصدق والوفاء والمروءة ، ملتزما بالسعي وراء الكلمة ، كانه موكل بفضاء الله يقطعه من اجلها ، يسافر من مكان الى مكان . وقد امتاز بجمع الاخبار من مظانها برا منه ان يبقى حلقة متسلسلة ، وصلة وثيقة بين اجدادنا العلماء الكادحين الصابرين الذين كانوا يبحثون عن العلم بالغدو والرواح ، وبيننا نحن الذين لا نزال في صورة اللحم والدم . ان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد فضل « الغدو والرواح » في تعلم العلم فقال انهما « افضل عند الله من الجهاد في سبيل الله » ... وان الفقيد الذي عرفناه بلقبه « البدوي الملثم » قد اراد ان يبقى مخلصا لحضارتنا العريقة في علومها وفي طرائقها ، فتابع ما كان يفعله علماؤنا منذ مطلع العصر العباسي في تدوين اخبار الادباء والعلماء واللغويين والفلاسفة والاطباء، بل جميع اصحاب الفكر الذين اقسموا على خدمة الخالق والكون والانسان .

فان كان ابن سلام اقدم من جمع اخبار الشعراء ودونها في طبقاته ، واول من اشار الى صدق الرواية بالبحث والتحليل والتعليل ، « فالبدوي الملثم » هو سليل اجدادنا الكادحين المكافحين ، الذين كانوا يسافرون ويتنقلون ، يروحون ويجيئون لجمع الخبر الصحيح الصادق ، والسيرة الادبية المتكاملة من افواه اصحابها

● القيت في الحفل التابيني للبدوي الملثم الذي اقيم على مدرج الجامعة الاردنية في عمان .

مـكـة

رددي ، بعدي ، حكايات السنين
واسمعي منها ابتهال الاقدمين

صلوات ... ما أشعت خمسها
في الدني ، الا بنجوى الملهمين

مكة الله ... حباها نوره
فزهت بالمصطفى للعالمين

سمت الرؤيا بها وانطلقت
عربيا صوتها للمؤمنين

أنزل القرآن يا فوح المنى
عتق الشجو فاحيي الصابرين

مكة ... كرمها الباري فما
بعدها في عزه ، أرض لدين

حجت الدنيا الى أفيائها
تغرف الرحمة لمسا ... أو حنين

طوف الايمان في البيت وما
للصدى الا نداء الخاشعين

والامام استوت التقوى له
فارتوى العيد ببث المحرمين

يغسل الكعبة بالطهر وقد
تمتم الداعون وانهل اليقين

آمني يا نفس هذي رعشة
قد أتاها وعدها بالمهتدين

رجعي في الوحي آيات الهدى
وأعيدي صلوات العابدين

جورج رجي

الاحياء ، او من افواه اهل الموتى وقبيلتهم واصدقائهم .
كفى فقيدنا جهادا في حياته ليكون العالم والمتعلم ، الراوية والمدون ، المسافر والمقيم ، متحليا بالوقار والتواضع والصدق والمحبة والوفاء في كل حين .

ايها السيدات والسادة ، لا شك في انكم سمعتم الكثير عن سيرة الفقيد ، عن مؤلفاته ، عن مكافحته في جمع اخبار الادباء والعلماء ، عن انصاف المعروفين منهم وغير المعروفين . بموضوعية دون تمييز ، او تقليل من قيمة اي فرد ، كصفة العالم العدل الذي يعشق العلم والمعرفة ، فكان بذلك الراوية والمدون لسير هؤلاء الادباء والعلماء ، من ادباء المهجر الى بعض ادباء الاردن ، الى ادباء فلسطين وعلمائهم .

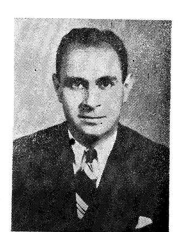
اما العمل الاخير اي موسوعة « اعلام الفكر والادب في فلسطين » فقام به عن قصد ، اراد ان يقول ما لم تستطع ان تقوله السياسة . اراد ان يجمع اشتات رجال الفكر الفلسطيني ، ان يلمهم بالكلمة ، ان يشاطرهم نكبتهم . فعندما فشلت السياسة في جمعهم من كل واد وسهل وجبل ، نجحت الكلمة في جمعهم واحدا واحدا في موسوعة ضخمة ، من اقدم العصور حتى هذا العصر .

نتمنى ان يتابع ابناؤنا بمثل تجرد « البدوي الملثم » وجهده الذي لا يعرف الكلل ولا الملل فيجمع دائما الادباء والعلماء الفلسطينيين بقوة الكلمة ، ويواصل جهادها ، بعد ان خانتنا سواعدنا ، وخذلنا السلاح .

هذا فضل يقره للفقيد الاديب الاردني ، رحمه الله ، جميع زملائه الادباء والعلماء الذين اشتركوا معه في الكلمة وفي الجهاد امثال البير اديب ، محمد اديب العامري ، عيسى الناعوري ، محمد العدناني ، محمد عبد الغني حسن ، اكرم زعيتر ، وديع فلسطين ، فوزي عطوي ، وجميع من كتب عنه او تحدث عنه في هذا اللقاء ، لقاء الكلمة التي خلدته ، فبدا حيا بيننا بفضائله ، ومكارم اخلاقه ، وعلمه ، ودأبه على طلب المعرفة ، وتكبد مشاقها ، والصبر عليها . اما فضله الاخر الذي اجمع عليه هؤلاء الزملاء فوفاؤه للعائلة ، للوطن وللاصدقاء .

لقد رحل الجسد اما الكلمة فباقية .

ثريا ملحس



وديـع فلسطين

يعقوب العودات : اديب المبادىء

بقلم وديـع فلسطين

* * *

حي البداوة التي مــن اشرف شرفائها هــذا البدوي الاصيل . وانزع لثامه ، لان محامد البدوي الملثم لم يعد يحجبها لثام مهما يكن كثيفا .

والمقيم لحياة يعقوب العودات لا يسعه ، في معرض الرثاء ، الا ان ينظر في حياتــه ومقومات شخصيته ، لان النظر في آثاره ودراساته يتسع مجالــه في غير مناسبة البكاء والتأبين ، وما أشقها مناسبة على صديق يحسب للبدوي الملثم من اصدقاء عمره الخلصاء .

اجل ، لقد كان يعقوب العودات رجـل مبادىء ، استمد بعضها من مناقب البداوة ، واستخلص بعضهـا الآخر من رسالات الانبياء ، وزاد عليها ما اصطنعه لنفسه من تجاربه وتجارب الانسانيين العظام في التاريخ .

واول مبدأ استقر عليه العودات من اكثر من ثلاثين سنة ، هو اختياره القيم الباقيات ، ولهذا اختار الادب لانه الابقى والاخلد والانفع والاجدى ، فهــو يجمع ولا يفرق ، ويعلم ولا يجهل ، ويرشد ولا يضلل ، ويرفع ولا يحط ، ويضيء السبيل ولا يطفيء شموعه . فالادب هو جامعته الكبرى التي آثرها واصطفاها وقضى عمره كلـه بين ساحاتها ، وكان دخوله اليها عصاميا ، كما كـان اعتصامه بها من صميم العقيدة ، وكان التزامه بمقاييسها الخلقية والعلمية التزاما رسوليا ، وكان دأبه ووكـده في هذه الجامعة ان ينصف حين يشيع الجحود ، وان يسرف في الحب حين تموج الدنيا بغير الحب ، وان يسعى سعي المجد فلا تقعد به وسيلة عن نيـل مرامه . فهو الاديب المكثر في غير اسفاف، المثابر في غير كلل ، الواعظ وان جفاه السامعون ، الراكض وراء الحقيقة ركض الباحث الامين.

وكم اتعب خلانه ــ وانا منهم ــ في سبيل سد ثغـرة او تحقيق واقعة او استيفاء خبر او استجلاء جانب مـن جوانب بحث ، فلا يقبل منهم عذرا او تعلـة ، ولا يكف عنهم الحاحه بأسلوبه الودود المرح ، حتى ينال بغيتـه ، وما بغيته الا وجه الادب .

لقد كان العودات اديبا معمدا بالادب مكرسا لـه ، وكان به مشغوفا هواية ورسالة ، وجهادا وكفاحا ، فملأ الدنيا بأدبه ، وشغل الناس بصداقاته ، ثـم عاجلهم ففجعهم بموته الصاعق وهو بعد مرتجىء .

وثاني مبدأ اتخذه البدوي الملثـم لنفسه هـو ان يغربل كل شيء بغربـال اخلاقي كبير دقيق العيـون ، لا يتحصل منه الا الخير المصفى . ومن ثم ترك كل عناية بالعيوب والمثالب ، وانصرف الى حصر كل معنى كريم ، يبرزه ويجليه ويبشر به . ورسائله الى ولده خالد فيهـا شيء من فلسفته في الحب والايثار والتفاؤل والفضيلـة والخير والصرامة الخلقية والامانة والشرف وكل ما جـاء به فلاسفة الاخلاق والرسل ، وكل ما استقر في مواثيق الحضارة من مبادىء انسانية كريمة .

فهو دائم التحريض على الخير ، دائم النهي عـن القبائح ، وما اكثر ما داعبته بسخريتي مـن « وعظه المنبري » ، فما كان يستقبل هـذه السخرية المازحة الا برصيد مضاعف من هذه المواعظ المسوقة مـن فـوق منبره الرفيع .

ولدى صدور رسائله الى ولده ، قرات نقدا لــه لاذعا جارحا في جريدة ممـا كنت اطالعــه في مهجري السحيق ، ولمست الظلم المفحش في عباراتــه والتحامل الشديد في الفاظه بل التجريح المفـزع في شخص البدوي الملثم ، مما استفزني وأثار غضبي وشجونـي . فأرسلت اليه هذا الكلام على علاته، ونصحته بأن يرد للناقد الصاع صاعين ، وحسبت ان البريد في رجوعه يوافيني بـرد ناري مزلزل على هذا الكلام الجائـر للناقد المتحامل . ولشد دهشتي ، لم يوافني بريـد العودات الا بعبـارة واحدة : « القافلة تسير والكلاب تنبح . فلا تلتفت الـى هذا السخف . ومعجمي خال مـن الفاظ السباب أنازل بها بطل السباب ! » .

لقد كان العودات يعرف ان للمجادلات الادبية سننا اخلاقية تراعى ، فان انعدمت الاخـلاق ، فمن العبث

● القيت في حفل تابين البدوي الملثم يعقوب العودات الذي اقيم على مدرج الجامعة الاردنية في عمان .

العابث التذرع بالمنطق والحجة والراي السديد رجاء الاقناع والافحام .

ومهما حاول المترصدون للاخطاء المتسقطون للعيوب ان يمسكوا على العودات شيئا ، فلن يمسكوه بخطأ اخلاقي ، لان الادب في عرفه اوله اخلاق وآخره آداب ، ولا غير .

وثالث المبادىء التي استعصم بها البدوي الملثم في حياته الادبية العامة ، هو مبدأ الوفاء الذي تراءى في كل آثاره الادبية المنشورة والمعدة للنشر . فهو وفي لامته ، يتابع تاريخ اعلامها مغربا ومشرقا ، مهجرا ومنفى . وهو وفي لاصدقائه يلبسهم الطيالس والقلانس الزاهيات فتنزل على البعض منهم فضفاضة مترهلة . وهو وفي للاحياء والاموات في آن ، فان فاته واجب الوفاء والناس بعد في قيد الحياة ، انصفهم وهم في الارماس . وان اهمل انصافهم وهم في مواقع السراوة والجاه ، انصفهم وهم بعيدون عن الاضواء . فالانصاف مذهبه ، والوفاء مبداه ، ومن جمع بين الانصاف والوفاء ، فقد آتى الادب خيرا وفيرا .

وحسبه وهو الوفي الصدوق انه جمع في ندوة عشرائه المكاتبين مئات من حملة الاقلام في كل فج من فجاج الضاد ، يواصلهم بموداته ، وينصفهم بمراقمه ، ويشاركهم مشاركة فعلية ذاتية في تجارب الحياة التي يبلونها . فأجمع الناس على محبته ، ومحضوه موداتهم ، وهم اليوم ثكالى من بعده ، لان الوفاء عبء ينوء بحمله النفعيون في دنيانا المعاصرة التي غلبت عليها فظاظة المادة ، وغادرتها — او كادت — شفافية الروح .

والمبدأ الرابع الذي دان به يعقوب العودات هو ايمانه بان دنيا الضاد واحدة في مشارقها ومغاربها ، واسرتها وثيقة الوشائج وان تباعدت مفرداتها . ولهذا عني منذ باكورة عمره بالكتابة عن الناطقين بالضاد ، جامعا اخبارهم وسيرهم من كل مغترب قذيف ، متنقلا بنفسه بين حواضرهم وبواديهم ومرابض هجرتهم ، مستنبطا آنا ، مستنطقا التاريخ آنا ، ناقلا بالعيان والمشاهدة ما لا ينقل بالرواية والسماع . فهو يكتب عن المهجر وكأن نزلاءه جميعا نبت ارض عربية واحدة . وهو يكتب عن مؤرخ الكويت وعن شعراء فلسطين واعلامها ، وعن علامة لبنان المجمعي ، وعن اريحي حلب ، وعن الشابي التونسي ، وعن ديك الجن الحمصي ، وعن مي وشعشاعة وفوزي المعلوف شاعر الطيارة .

فالعروبة عند البدوي الملثم عروبة متصلة الوشائج ، لا تقوم بينها حواجز الا بالوهم ، ولا تباعد بينها الا اسباب عارضة تتبخر لو ترك امرها للادب والادباء ورجال الفكر والمفكرين . فوحدة الفكر والجنان ، ووحدة الضاد واللسان ، ووحدة العقل والوجدان ، ماثلة من عقود من الزمان وعقود ، وهي ابقى وحدة ، وانقى رابطة . ولهذا عاش البدوي الملثم لاهثا بين اقطار للضاد توزعت ، واعلام للبيان ترامت ديارها ، وآثار للادب تولاها الشتات بل الضياع ، فلا يضنيه هذا اللهاث ، بل يزيده عزما وعزيمة وهمة لا خمود لها ولا جمود .

ان يعقوب العودات الذي تمثلت في حياته الخصبة المباركة هذه المثليات والمبادىء والقيم ، يقتضينا — وقد اغمضت عيناه في الكفن — ان نرد له بعض فضله المذخور ، ونكافئه لا بطي كتابه ، بل بنشره على اوسع ملأ غفير . فالضاد التي خدمها بأمانة وشرف وتضحية كل عمره ، لا يؤودها ان تخرج له اسفاره ومصنفاته التي انكب على تسطيرها ، وتلهف على اخراجها ، ومزج مدادها بمداد قلبه لا قلمه .

فلا لثام بعد اليوم يحجب عنا آثار يعقوب العودات وتراثه ، بل لقد حان الحين لكي تعلن هذه الآثار البواقي في شرفات المكتبات ، وتعرض بين مفاخر الكتب عرضا كريما يليق بالرسالة الادبية القدسية التي حمل لواءها صديقنا الراحل ، بعناد لا يؤتاه الا المؤمنون الصابرون الراضون .

لقد آن الاوان لنكون بررة بهذا الابن الابر لام اللغات .

القاهرة — وديع فلسطين

اغنية حزينة

●

الصمت تمدد في اقبية الخوف
فرأيت
جناحي اغنيتي المكسورة في القاع
يقتتلان
ورأيت الظل المشطور بحد السيف
يتقهقر منهزما
نحو الصيف المقهور الاحرف والكلمات
ووجدت ربيعي .. طللا ..
يبكي حبا مات !

القاهرة — حسين علي محمد

زلطـه

بقلم فتحي الابياري

وتراجع الناس الكسالى بوجوههم الى الوراء قليلا ، خشية ان يصابوا برذاذ اللهب المتكرر المنبعث من فم ذلك الرجل العاري الصدر وهو يقدم الاعيبه البطولية امامهم وكان الرجل يقوم بعدة حركات بهلوانية ، ويرتمي على الزجاج المهشم ، ويجعل احد المارة يقف على بطنه ، ويصرخ في الذين تسمروا في الكراسي امامه .. على القهوة ليشاهدوا براعته ، وتضايق الرجل لانشغال الكثيرين عنه ، فترك تلك الالعاب العادية وملأ فمه بقليل من (الكيروسين) واشعل عدة الشعل ، وبكل ما في صدره من مرارة ، أطلق رذاذ الكيروسين من فمه على عدة الشعل المشتعلة فاحدثت ذلك اللهيب ، وتنبه بعض الكسالى ، ولكن احدهم قال له : حاسب يا عم تحرقنا .

وبصوت متحشرج رد عليه الرجل العاري الصدر :

ـ سليمة يا بيه ان شاء الله .

وراح يكرر المحاولة مرة تلو الاخرى بينما كانت السيارات والعربات وسيارات الاتوبيس .. تمر من جانبه مسرعة ، والمارة يتأففون من الرجل لانه يسد جزءا من الطريق المزدحم . والشمس تسقط أشعتها الحارقة فوق رؤوس الناس ، فتذيب من نفوسهم قطرات الصبر . وميدان المنشية ، مشتعل بالحركة والناس والسيارات ، وبلهيب مرارة الرجل العاري الصدر وصاح بعد انتهائه من لعبة النار .

ـ شوف يا حضرة انت وهو .. لعبة الزمان .. لعبة عم زلطة ..

وانحنى الرجل الذي جاوز الخمسين ـ وان كان يتمتع باطلال قوة شبابه ـ ومد يده الى جوال قديم ، واخرج بعض قطع الزلط الكبيرة ، وقذف بها الى الارض قائلا للناس الجالسين امامه على القهوة :

ـ شوف يا حضرة .. اختار اي زلطة تعجبك .. وانا اكسرها بايدي .. أرميها يمكن تكون مكسورة ..

وعندئذ التفت الى الرجل شابان كانا يلعبان الطاولة منذ مدة . وقال احدهما للآخر :

ـ لا فائدة .. من يستطيع كسر الزلطة .. هل ترى ماذا سيفعل ؟.

وقال زميله : لا أعرف يا خبير .

ـ سيقوم بعملية نصب .. سيمر على كل واحد في القهوة ويطلب منه قرشا .. ويلم الزلط .. ويرحل ..

ـ أنها وسيلة لاكل عيشه .

ـ ماذا فعل ؟

ـ انظر اليه .. لترى ..

العرق يسبح على صدره العاري .. وفتات الزجاج المهشم ملتصق بظهره .. والكيروسين يسيح من فمه ..

ـ بهلوان .. دعنا منه .. ألعب .. وارم الزهر ..

ـ دبش ..

وصاح الرجل ، وهو يمسك بزلطة كبيرة :

ـ شوفوا يا حضرات .. لما اكسر الزلطة بأيدي ..

وارتكن الرجل على ركبته اليسرى فوق الارض ، ووضع الزلطة امامه وقبض عليها بأصابع يده اليسرى ورفع قبضة يده اليمنى ثم هوى بها بشدة فوق الزلطة .. فارتطم الكف بالزلطة .. ولم يحدث أي شيء .. وصاح الرجل :

ـ يا قوي ..

واعاد الرجل المحاولة مرة ثانية ولم يحدث أي شيء ، بينما صاح احد الجالسين على القهوة ، عندما شاهد امرأة (متخختة) تتمخطر امامه في الطريق المزدحم ..

ـ يا ارض احفظي ما عليك ..

ـ يا قوي ..

ولكن الرجل ، كان يعيد محاولاته لكسر الزلطة التي لم تتأثر بتلك الضربات اللينة ، وصاح الرجل ، وهو ينظر الى عيون رواد القهوة المبحلقة في الزلطة ، لترى ماذا سيفعل .

ـ قالوا لي ايه اللي رماك ع المر .. قلت اللي أمر منه .. يا كريم يا رب ..

ورفع يده هذه المرة ، وهوى بها بشدة فوق الزلطة ، التي لم يحدث لها أي شيء ، بينما تاهت نامة الم صدرت من فمه في تلك الصيحة التي اطلقها احد الشابين قائلا لزميله :

ـ دوسه يا حلو .. حبستك في خانة اليك ..

ونظر الى الرجل ، وهو يرفع قبضة يده ، ويهوي بها فوق الزلطة وارتعشت العيون المبحلقة ، وهي ترى قبضة الرجل الطرية ، وكأنها تئن في كل مرة . بينما تساقطت بعض قطرات من العرق على الارض من جبهة الرجل ، بجوار الزلطة وقال الشاب لزميله :

ـ انظر .. ان أكل العيش مر.. العرق يتساقط من جبهة الرجل.. والزلطة لا تنكسر .

فقال له زميله :

ـ عبيط .. انها حركات يا ساذج ..

ـ كل هذا من أجل قرش ..

ـ قرش من هنا .. وقرش من



الى اخي يعقوب العودات

القيت في حفل تابين الفقيد الذي اقيم في عمان

مـــا كنت احسب ان اقـــول رثاءك ... بـــل كنت أرجـــو ان اكون فـــداءك
لكـــن سبقت وكنت دومـــا سابقـــا ... تمشي فيمشــي المعجبـــون وراءك
أصغي اليك فـــلا أفـــوز بلفظـــة ... كم كنت أطـــرب ان سمعت نـــداءك
جاريت معنا فـــي السخـــاء وربما ... لـــم يعط معـــن سائليـــه عطاءك
حملت أعباء الحيـــاة وفي الثـــرى ... ألقيت يـــا خـــدن العلـــى أعباءك
يـــا خير مـــن حفظ الوداد وصانـــه ... حـــق علينـــا ان نصـــون ولاءك
علمتنـــي معنـــى الوفـــاء فصنتـــه ... ونظمت مـــن ذوب الفـــؤاد رثـــاءك
قـــد كنت شمسا ثـــم غبت وانما ... في كـــل خـــير نستشف ضيـــاءك
خلعت يـــداك علـــى العصاة مطارفـــا ... والله قـــد جعـــل الخلـــود رداءك
هـــذي أزاهـــير الرياض جميعهـــا ... قطفت لتمسي في الضريـــح غطـــاءك
فرحت لمقدمـــك السمـــاء وهللت ... فادخل لتلقـــى في السمـــاء جزاءك

حلـــب

عبد الله يوركي حلاق
صاحب مجلة الضاد ورئيس تحريرها

هناك .. والحصيلة آخر النهار .. احسن من كـــل مرتبك في آخـــر الشهـــر .

ـ حرام عليك .. بذمتك هـــذا الرجل البلهواني كمـــا تسميه .. أليس أفضل من رئيس السكرتارية في شركتنا .. انه لا يفعل شيئا اكثر من شرب القهوة واستقبال الضيوف .. انظر الى الرجل البهلواني .

وفي تلك اللحظة سقطت قبضة الرجل بعنف فـــوق الزلطـــة .. فتطايرت شظية رفيعة منهـــا .. وصاح بعض الصبية الملتفين حـــول الرجل ، بينما بـــدأ الارتياح في العيون المحلقة . ومسح الرجـــل قطرات العرق . وارتسمت علـــى عينيه لمحة من الطمأنينة بعـــد ان انتابه القلق . وصاح وهـــو يحاول ضرب الزلطة بقبضته :

ـ صلوا على النبي يا حضرات . كل واحد يصلي على النبي المختار .. يا قوي ..

وانهال الرجل على الزلطة بعـــدة ضربات سريعـــة ، فانفلقت الـــى نصفين وصاح الصبية مهللين . وقام الرجل ليجمع القروش مـــن العيون المحلقة . وسرعـــان مـــا تحولت العيون الى اتجاهات اخرى . وكأنها لم تشاهد شيئا . وطاف الرجـــل بالذين تسمروا فوق الكراسي وهو يردد كلمة :

ـ يا كريم .. صلوا علـــى النبي

واقترب مـــن الشابين ، فوضـــع احدهم قرشا في راحة الرجل الذي قال له :

ـ ربنا يسترها معاك يـــا بيه .

وابتعد . بينما قال زميله :

ـ عبيط والله .. تدفع مليمـــا لهذا الرجل ..

ـ ما اكثر الدجالين .. الذيـــن لا يفعلون شيئا ..

ـ طيب العـــب .. ولا داعـــي للكلام الفارغ ..

واقترب القهوجي مـــن الرجل الذي كان ينظر الى القروش القليلة القابعة في راحة يده . وقال :

ـ شيل كراكيبك يا عم .. خلينا نعرف نشتغل .. وسع السكة .. وصاح بأعلى صوته :

ـ واحد شيشة .. واثنين قهوة ع الريحة .. وواحـــد ينسون .. ووضبه .. أيوه جاي ..

ورد الرجل وهـــو يستر صدره العاري بقميص مهلهل ، ويلم عـــدة الشغل .

ـ ربنا يسترها معاك يا بني .

وحمل كل شيء .. ونظر الـــى الارض فوجد الزلطـــة المكسورة .. فركلها برجله . ثم سار . وهـــو يتمتم يا كريم .

القاهرة

فتحي الابياري



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

أجوبة مغلوطة

ويخطئون الذين يقولون : كانت اجابات الطلاب مغلوطة . ويقولون بأن الصواب : كانت اجاباتهم مغلوطا فيها ، لان الفعل (غلط) لازم لايتعدى بنفسه ، فلا يقال : غلط الشيء (بفتح الهمزة) ، بل غلط في الشيء.

وقد جاء في مستدرك التاج :

كتاب مغلوط = قد غلط فيه ، وكذلك حساب مغلوط .

فقطعت جهيزة قول كل خطيب .

(هذا مثل ، أصله ان قوما اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيين ، قتل احدهما من الآخر قتيلا ، ويسألون ان يرضى أهل القتيل بالدية. فبيناهم في ذلك ، اذ جاءت امة ، اسمها جهيزة ، فقالت : ان القاتل قد ظفر به احد اقرباء القتيل فقتله . فقالوا عند ذلك : قطعت جهيزة قول كل خطيب ، أي : لم يبق مجال للكلام) .

نموذجات من حرف الفاء

فتحة في الجدار

ويقولون : وجدنا في الجدار فتحة (بفتح فسكون) . والصواب : وجدنا فتحة (بضم فسكون) ، أو فرجة ، او ثغرة ، او ثلمة (بضم فسكون فيها جميعا) في الجدار . والفتحة (بضم فسكون) ايضا : ما يتطاول به من مال أو أدب .

الفجلة

ويقولون : أكل فجلة (بكسر فسكون) . والصواب : أكل فجلة (بضم فسكون) ، او فجلة (بضم فضم) . والجمع : فجل (بضم فسكون) وفجل (بضم فضم) .

والفجل : هو النبت الذي تؤكل ارومته ، وله لحم أبيض وقشر أحمر او ابيض . وورقه عريض جيد لوجع المفاصل واليرقان . ويقول ابن دريد بأن الفجل ليس بعربي صحيح .

فخذه الايسر

ويقولون : أصيب فخذه (بفتح فسكون) الايسر . والصواب : اصيبت فخذه (بفتح فكسر ، وهي الافصح) اليسرى ، او فخذه (بفتح فسكون) ، او فخذه (بكسر فسكون) وزاد الزركشي محمد بن بهادر في شرح البخاري كلمة فخذ (بكسر فكسر) .

أما جمع فخذ فهو : أفخاذ . وكلمة (فخذ) مؤنثة ، الا اذا كانت تعني احدى فصائل البطن في العشيرة ، فهي (مذكرة) .

الفاخوري

ويسمون صانع الفخار (بفتح الفاء وتضعيف الخاء) وبائعه بالفاخوري. والصواب : الفخاري (بفتح فتضعيف) . والفخار هو : الخزف .

أما الفاخوري فهو بائع الفاخور ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل: ضرب من الرياحين ، يسميه أهل البصرة ريحان الشيوخ ، ويزعم اطباؤهم انه يقطع السبات .

تفرج عليه

ويقولون : تفرج (بفتح ففتح فتضعيف) عليه . والصواب : نظر اليه، او شاهده ، لان معنى : تفرج الغم : تكشف . ومثله : انفرج الغم .

بفارغ صبر

ويقولون : انتظره بفارغ صبر . وهذا تركيب تركي لا يزال دائرا على ألسنتنا من العهد العثماني . والصواب : انتظره بصبر نافد . راجع الآية ١١٠ من سورة الكهف .

أما قوله تعالى في الآية ٢٤٩ من سورة البقرة : ((قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا)) ، فمعناه : أنزل علينا صبرا ، أو : صب في نفوسنا الصبر .

فشل

ويخطئون من يقول : فشل فلان في الامتحان . ويقولون ان الصواب هو أخفق فلان في الامتحان ، او : خاب فيه ، لان الفعل فشل (بكسر الشين) معناه : فزع وجبن وضعف وكسل . فهو فشل (بفتح فسكون) وفشل (بفتح فكسر) وفشيل . وفعله : فشل (بفتح فكسر) يفشل (بفتح الشين) فشلا (بفتح الشين) .

واجاز التاج في مستدركه : فشل (بفتح الشين) يفشل (بضمها) وفشل (بفتح الشين) يفشل (بكسرها) .

أما فشل (بكسر الشين) عنه ، فمعناه : نكل عنه ، ولم يمضه. راجع الآية ٤٧ من سورة ((الانفال)) . ولكن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على أن نقول : فشل في عمله : أخفق .

فضلا عن

ويقولون : فلان لا يملك دينارا فضلا عن فلس . والصواب : فلان لا يملك فلسا فضلا عن دينار ، لان كلمة (فضلا) تستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى ، الذي يجب ان يأتي قبلها .

لذا تقع (فضلا) بين كلامين متغايري المعنى . واكثر استعمالها بعد نفي ، كما يقول القطب الشيرازي . وعندما نقول : فلان لا يملك كوخا فضلا عن قصر ، نعني أنه لا يملك كوخا ولا قصرا ، وعدم ملكه

للقصر اولى بالانتفاء ، فكأننا قلنا : لا يملك كوخا ، فكيف يملك قصرا؟

قال أبو حيان التوحيدي : « لم اظفر بنص على ان مثل هـذا التركيب من كلام العرب » . ولست ارى بأسا باستعمال هذا التركيب، وان كنت أرى ان قولنا : « لا يملك فلسا بله دينارا » ، أبلغ .

حسن الفعال

ويقولون : فلان حسن الفعال (بكسر الفاء) والصواب : حسن الفعال (بفتح الفاء) . وتطلق الفعال (بفتح الفاء) على الخير والشر ، اذا كان الفاعل واحدا ، فنقول : فلان كريم الفعال ، وفلان لئيم الفعال .

اما اذا لم يكن الفاعل واحدا فاننا نكسر الفاء ، ونقول : همـا حسنا الفعال ، وهم حسان الفعال . والفعال (بكسر الفاء) هي :

١ — مصدر فاعل ، ٢ — خشبة الفأس .

(لا أدري لماذا يخص اللسان المثنى بكسر الفاء ، ويهمل ذكر الجمع ، بينما التاج لا يفعل ذلك) .

وقال ابن بري : « الفعال مفتوح أبدا الا الفعال لخشبة الفأس، فانها مكسورة الفاء » . فعلا . فالمصدر مفتوح الفـاء ، والاسم مكسورها .

ونقول : فعل يفعل فعلا .

فقـط

ويستعملون (فقط) بعد ادوات الاستثناء والافعال التي تفيد معنى الحصر ، فيقولون : لم يجرح في المعركة الا فدائيان فقط ، وما نجا من الاعداء سوى ثلاثة جنود فقط . فزيادة (فقط) هنا حشو لا ضرورة له . والمعنى يستقيم بدونها .

واصل فقط قط (بفتح فسكون) ، وهـي اسم فعـل بمعنى (انته) ، وتضاف اليه الفاء تزيينا للفظ . فاذا قلنا : سافر مـرة فقط ، عنينا : مرة لا غير .

فكـر بالرجوع

ويقولون : فكر بالرجوع الى وطنه . والصواب : فكر (بتضعيف الكاف) في الرجوع الى وطنه ، أو : فكر (بفتح الكاف) فيـه يفكر (بكسر الكاف) فكرا (بفتح فسكون) او فكرا (بكسر فسكون) . أو : أفكر (بفتح فسكون) ، أو : تفكر (بفتح ففتح فتضعيف) .

وقيل الفكر (بفتح فسكون) المصدر ، والفكر (بكسر فسكون) الاسم .

وقد استعمل الفعل (تفكر) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة ، والفعل فكر (بتضعيف الكاف) مرة واحدة .

اما الفعل (افتكر) فهو من استعمال العامة ، مع ان « المعجم الوسيط » قال : افتكر الامر : خطر بباله . في الامر : اعمل عقلـه فيه . ولكن المعجم لم يذكر بان مجمع اللغة العربية القاهري وافـق على ذلك .

فـل من حـده

ويقولون : فل من حد السيف ، اي : ثلمه . والصواب : فل حـده او : فلله (بتضعيف اللام الاولى) .

اما فل القوم فمعناه : هزمهم .

رجـع فـورا

ويقولون : رجع الى وطنه فورا . والصواب : رجع من فوره ، اي : من حركته التي وصل فيها ، ولم يمكث بعدها . وحقيقته ان يصـل ما بعد المجيء بما قبله من غير لبث .

والطبرسي (بفتح ففتح فسكون) يقول في المجلد الثاني من مجمع البيان صفحة : ٤٩٨ ، « وقيل الفور : القصد الى الشيء بحدة » .

عم و خالة

قالت ، تجد ، ويـا لها مـن قاله
عمـاه أنـت ، فأرثـت بلبابـه
واستدركت أن المقـال دعابـة
زعـم ، يناقض صدقـه أحوالـه
خلع الزمان ، على الاصيل، شبيبتي
وكم ارتدى مـن فجرها سرباله
ولطالما جررت مـن أذيالهـا
صبحا ، وجاذبت الضحى أذياله
ورأيت باديـة الغروب مطالعي
فلأهرقـن علـى غـد آصالـه
وأجبتهـا : لا يخدعنك مـا أرا
ه صبا ، سقى ذوب البهاء جماله
فغـدا وليـس غـد بيـوم أبعـد
يدعوك موفور الصبا يـا خالـه
فلأدعونك خالـة متيمنـا
ولأسبقـن علـى الزمـان مقالـه
يـا ويحـه كهلا يقول لكاعب
يـا خالتا ، أتـرى يخادع حالـه

دمشق — وحيد العطار

الفوطـة

ويسمون ما تمسح به اليد او الوجه فوطـة . والصواب : منشفـة (بكسر فسكون ففتح) .

والمشوش (بفتح فضم) في المعاجم كلمة مرادفة لـ (منشفة) .
وانا لا انصح باستعمالها رغم انها فصيحة .

اما كلمة (فوطة) فهي سندية ، وجمعها : فوط (بضم ففتح) .

ويقول التاج : انها مآزر مخططة يشتريها الجمالون والاعراب والخدم .

تفوق عليه

ويقولون : تفوق على اترابه في الامتحان . والصواب : فاق اترابه فوقا (بفتح فسكون) وفواقا (بفتح الفاء) ، أي : علاهم بالشرف وغلبهم وفضلهم .

اما الفعل (تفوق) فمن معانيه :

١ — تفوق على قومه : ترفع عليهم .

٢ — تفوق الفصيل (ابن الناقة) أمه : رضعها فواقـا (بضم الفاء) فواقا . والفواق : ما بين الحلبتين من الوقت .

٣ — تفوق فلان ناقته : حلبها بين الحلبتين .

٤ — تفوق شرابه : شربه شيئا بعد شيء . وهو مجاز .

صيدا — لبنان — محمد العدناني



قسطنطين تيودوري

كيف تسرب الدخيل الى العربية

بقلم قسطنطين تيودوري

***

بدات في العصر الاموي ترجمة العلوم الى اللغة العربية ، واول من بدأ حركة الترجمة في ذلك العهد خالد بن يزيد حفيد معاوية الاكبر المتوفي سنة ٧٠٤م . وعندما ازدهرت الحركة الادبية في العصر العباسي ، وخاصة في عهد هرون الرشيد وابنه المأمون ، ترجمت الى العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والكلدانية والمصرية ، كتب الفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات والادب والكيمياء والتشريح وغيرها من العلوم ، مما أوجد نهضة علمية وادبية منقطعة النظير في تاريخ اللغة العربية امتدت الى كثير من اقطار آسيا واوربا وافريقيا ، فطرأ بواسطتها تطور على العربية كان من نتائجه وجود لغة علمية تقاس بمعيار المنطق والبرهان العقلي ، كما وضع كثير من مصطلحات العلوم والفنون ، وصيغت كلمات جديدة في جميع العلوم والمعرفة في ذلك العهد .

أثر اختلاط العرب بالشعوب

وابان الفتوحات العربية التي امتدت الى كثير من انحاء العالم ، خالط العرب عددا من الشعوب وتعلموا لغاتها واقتبسوا منها بعض العلوم والفنون ، فنتج عن ذلك اندماج طائفة من كلمات هذه الشعوب في لسان العرب ، خالط العرب السريان وهم في مقدمة الشعوب الارامية في الجاهلية والقرون الاولى للاسلام ، فاقتبسوا منهم مئات الكلمات الخاصة بالزراعة والصناعة والتجارة والملاحة . ومما يلفت النظر ان اكثر الكلمات العربية المختصة بالزراعة هي أرامية الاصل .

وقد غزا العرب فارس (ايران) سنة ٦٥٢ واستمرت سيادتهم لهذه البلاد العريقة في الثقافة والمدنية نحو ستة قرون ، فأخذوا عنها قسطا كبيرا من تلك المدنية ، واقترضوا من الكلمات الفارسية اكثر مما اقترضوه من سائر اللغات . وقد احتلوا اسبانيا سنة ٧١١م ، واستمر حكمهم فيها نحو سبعة قرون . وقد أثرت العربية في اللغة الاسبانية تأثيرا كبيرا ، فقد استمد الاسبان معظم اسماء الرياحين والازهار من العربية ، وقد اخذت اسبانيا وبواسطتها اميركا اللاتينية من العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ، فقد ذكر بعض الباحثين ان المفردات العربية التي دخلت الى اللغة الاسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الاسباني . اما البرتغال فقد فتحوها عام ٧١٤ وظلت سيطرتهم عليها حتى عام ١١٣٩ ، واسفر ذلك عن دخول ثلاثة آلاف كلمة عربية الى اللغة البرتغالية. وقد صنف الاب ساسا باتيستا الذي ولد في دمشق من ابوين عربيين عام ١٧٨٩ قاموسا جمع فيه الكلمات التي اقتبسها البرتغاليون من العربية ، هذه الكلمات التي تغلغلت في البرتغالية الى حد كبير ، والف المستشرق الهولندي دوزي (١٨٢٠ — ١٨٨٤) قاموسا خاصا بالكلمات البرتغالية والاسبانية المشتقة من العربية . وقد وضع الراهب جوان دي سوزا المولود في دمشق كتابا بعنوان : « دراسة اشتقاق الكلمات والاسماء البرتغالية من أصل عربي » ، وقد وضع كتابا آخر يقع في ١٠٤ صفحات جمع فيه ٤٠٠ كلمة عربية دخيلة في البرتغالية، وقد طبع هذا الكتاب في لشبونة سنة ١٩٣٠، قاموسا باسم : « قاموس الالفاظ البرتغالية المشتقة من العربية » وقد نشر منه ثمانية فصول ابتداء من الحرف A الى كلمة Cimitana توقف بعدها عن اصدار الاجزاء الباقية . وقد وضع الاستاذ ميكل نمر البرازيلي وهو من أصل لبناني كتابا بعنوان : « نفوذ اللغات الشرقية في اللغة البرتغالية » وقد نشر الجزء الاول من كتابه في مطلع عام ١٩٤٣ والجزء الثاني في اواخر العام المذكور ، ولم تقتصر دراسة المؤلف على العربية الدخيلة في البرتغالية بل شملت ايضا كلمات شرقية غير عربية ، وقد الف الاستاذ جورج ليان في ريو دي جانيرو عدة كتاب وقواميس برتغالية عربية منها كتاب : « الكلمات العربية في اللغة البرتغالية » جمع فيه ما اقتبسه البرتغاليون عن العرب من الفاظ وتعابير فصحى وعامية ويقع في ٢٠٠ صفحة .

دخول كلمات أجنبية الى اللغة العربية

وابان احتكاك العرب بالصليبيين من محاربين وتجار ، تواترت علاقات فرنسا مع الشرق العربي وخاصة بعد احتلال فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٧ ونشر حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ وعلى المغرب الاقصى سنة ١٩١٨ ، ونشأت علاقات تجارية مدة طويلة بين دويلات ايطاليا المستقلة والاقطار العربية ، فدخلت الى اللغة العربية كلمات فرنسية وايطالية لا تزال شائعة الاستعمال في الاوساط التجارية والمالية المختلفة .

ومع أن العرب لم يفتحوا اليونان كما فتحوا غيرها، الا انهم منذ ايام العباسيين أخذوا ينقلون علومهم ومؤلفاتهم من لغتها الاصلية او من ترجمتها السريانية ، وقد قرأ أبو نصر محمد الفارابي (٨٧٣ — ٩٥٠) كتب ارسطو ونشرها مع كتب أفلاطون لمعاصريه وشرحها لهم . وبعد نشأة النصرانية استعمل اللغة اليونانية العامية جميع أقطار الشرق الخاضعة لليونان . ولا شك أن مسيحيي سورية ومصر وغيرهما من اقطار الشرق الاوسط التي فتحها العرب والذين ينطقون بالضاد ، قد تأثروا باللغة اليونانية فاقتبسوا منها مئات الكلمات وخاصة عن طريق اللغة السريانية ، كما ان اللغة اليونانية نفسها قد اقتبست الشيء الكثير من العربية ، غير ان هذه المقتبسات اتخذت شكلا يصعب معه ارجاعها الى الاصل الغربي .

وهكذا دخلت الى العربية على مر الزمن كلمات كثيرة من أصل سرياني وفارسي ويوناني ولاتيني وفرنسي وايطالي واسباني وتركي وغير ذلك .

كلمات من أصل سرياني

تاجر ، رفعة (قطعة من الورق) جبار ، جاسوس ، مجلة ، ترعة ، بقعة (قطعة أرض) ، حصن ، حكيم ، أسبوع ، حرب ، رصيف ، روح ، حيوان ، أقنوم ، رحمن (نعت مختص بالله) ، جنة ، خياط ، درب ، ديز ، أطلس (نسيج حرير رقيق) ، تنور ، اكليل (تاج)، أنبوب ، تلميذ ، حمى ، ريح ، أس (بمعنى أساس) ، أمهات (جمع أم) ، بيت ، ترجم ، حشرة ، دمية ، مروحة ، زمن ، زورق ، زاوية ، زيت ، سفينة ، سجد ، ساس ، وكلمات كثيرة غيرها نحسبها عربية الاصل .

كلمات من أصل فارسي

أستاذ ، أوج (بمعنى علو) ، كوز ، ياقوت ، مسك ، قصفة (صفحة) ، فلفل ، عنبر ، دستور ، جوق (جماعة من الناس) ، برهان ، بستان ، ربان ، جهبذ (ناقد ماهر) ، ديباج ، أفيون ، ساذج ، ديباجة (مقدمة الكتاب او نحوه) ، سراب ، سرادق ، بند (فصل او فقرة من كتاب) ، صهريج ، بريد ، جادة (طريق) ، جزية (ضريبة) ، جناح (اثم) ، جوهر ، دفتر ، ديوان، خنجر ، سفنجة (كمبيالة) ، ابريق ، أسطوانة ، بازار (سوق) ، جام (كأس) ، دكان ، سمسار ، عربون ، برطيل ، برنامج ، طازج ، طبق (ما يؤكل عليه) ، طراز، خليج ، درويش ، دولاب ، روزنامة (تقويم) ، خواجه (سيد) ، جمارك ، خذ (حرير) ، جاموس ، بوتقة (وعاء تذاب فيه المعادن) وكلمات غيرها نستعملها كأنها عربية أصيلة .

كلمات عربية مشتقة من أصل يوناني

أسطول ، فردوس ، طقس (بالمعنى الكنسي) ، فلسفة ، موسيقى ، يرقان (اسم مرض) ، برج ، كيمياء ، ميناء ، درهم ، اقليم ، خليفة ، اسطور ، طقم ، قرطاس ، قيراط ، أبرشية ، ابليس ، أثير ، ارثوذكسي ، ازميل ، أنجيل ، أسقف ، الماس ، اسفنج ، جغرافيا ، بلسم ، تلغراف ، خارطة ، فلس ، قندلفت (خادم الكنيسة) ، آفة ، ارث ، مقلاد (وجمعها مقاليد) ، ارستقراطية وغيرها .

كلمات عربية من أصل لاتيني

اسطبل (اصطبل) ، امبراطور ، بترول ، بركان ، رصيد ، ريف ، بلاط (بمعنى قصر) ، قنصل ، سجل ، فرن ، اكسترا ، دينار ، قنطار ، قميص ، ترانزيت ، مانيفاتورا ، بروتستو ، قلنسوة ، (نوع من ملابس الرأس) ، قيصر ، كردينال ، قفة (سلة) ، ميل ، كوب (قدح) ، كوفية (غطاء للرأس) ، جنرال ، قنص ، انكدر (بمعنى انقض) . كل هذه الكلمات مقتبسة من اللاتينية واكثرها اندمج في العربية بواسطة اليونانية او الايطالية .

كلمات من أصل فرنسي

سكرتير ، برلمان ، بروتستانتي، دكتور ، راديو، ماسوني، طن (الف كيلو غرام) ، مليون ، مليار ، مارشال ، باسبورت ، كومسيون ، دزينة ، نوفوتيه ، فرنك ، بورجوازية وغير ذلك .

كلمات من أصل ايطالي

برميل ، بنك ، دوبيا ، بورصة ، كمبيالة ، كونتراتو ، فاتورة ، شوكولاتة ، سيكورتاه ، كمبيو ، صابورة (ما يوضع من الثقل في قعر السفينة لئلا يميل أحد جانبيها) ، قرصان (لصوص البحر) ، بوليصة (البيان ومنه : بوليصة الشحن وبوليصة التأمين) وغيرها من الكلمات . ويلاحظ ان اكثر هذه الكلمات نستعملها اليوم في المصارف وفي معاملاتنا التجارية .

كلمات من أصل اسباني

بطاطا ، تبغ ، ريال ، اندمجت هذه الكلمات في العربية

رأيي ورأيك

لك ما ترى بين الخلائق والورى ... ولي الذي ما لا تدين ولا ترى
فاذا أصبت فانني بك معجب ... ولربما شايعت رايك مكبرا
واذا غويت فقد تراني معرضا ... عما سلكت من الوسائل مدبرا
لا . لن اقول بأن رأيك باطل ... لكنني قد لا اراه نيرا
لا انت تملك مقودي فتقودني ... بالرغم مني في دروبك صاغرا
كلا ولا ارضى اقتيادك عنوة ... ما شأن مثلي أن يقودك مجبرا
لن اهتدي ما دمت دوني حجة ... ولو اعتليت من الفصاحة منبرا
ما في اتباعي ما تقول مهانة ... الحق اولى ان يصان وينشرا
لا . لا تقل اني المصيب تكبرا ... لا . لا تقل ان الحقيقة ما ارى
فلربما ادركت منها جانبا ... ولربما اخطأت حظا اوفرا
ولقد ترى ان الصواب محالفي ... فتصد حتى لا يقال تأثرا
هل انت في هذا الوجود مميز ... هل انت اقدر من سعى فوق الثرى
يا سيدي قل لي فاني حائر ... هل انت تمتلك الحقائق يا ترى
لا والذي جعل الحقيقة غاية ... تسعى على آثارها متعثرا
ما انت الا مثل غيرك بيننا ... ما انت الا واحد بين الورى
فافتح فؤادك للضياء ولا تكن ... حرج المسالك في امورك اعسرا
فلقد فتحت مع الصباح نوافذي ... للشمس للفجر الذي قد اسفرا
ولسوف الثم كل نور ساطع ... وادين للصبح الاصيل تأثرا

الكويت

خليفة الوقيان

بواسطة اللغة التركية .

كلمات من أصل تركي

بيرق (راية) ، ترسانة (مستودع الذخائر وأدوات الحرب) ، قرش (غرش) ، دمغة ، قنبلة ، قنطان ، برغي ، وجاق (مدفأة) .

اندمجت هذه الالفاظ ومئات غيرها في العربية ، فزادت ثروتها واصبح من المتعذر التمييز بينها وبين الالفاظ الاصيلة ، وبهذه الطريقة أغنى العرب في عصورهم المزدهرة العربية بآلاف الالفاظ التي عربوها وجعلوها على صيغ عربية تلائم الذوق العربي ، وقد اظهروا براعة في التحويل والتعريب حتى صارت الكلمات الاعجمية عربية لا غبار عليها . فهل يخطر ببال احد – غير كبار اللغويين – ان كلمة ترعة مقتبسة من السريانية ، وبستان مقتبسة من الفارسية ، وبرج من اليونانية ، ودينار من اللاتينية ، وقنبلة من التركية ، ومليون من الفرنسية ، وبرميل من الايطالية ، وحج من العبرية ؟

وهكذا كان اثر الحضارة العباسية القائمة على الفارسية والسريانية واليونانية فعالا الى حد جعل اللغة العربية ردحا من الزمن أغنى لغات العالم علوما وآدابا .

قسطنطين تيودوري

سامي هداوي - علي السرطاوي

ميشيل ايطاربوس

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ - سامي هداوي

ولد « سامي » في بيت المقدس عام ١٩٠٤ وثقف نفسه بنفسه في سائر مراحل دراسته ، والتحق بحكومة فلسطين عام ١٩٢٠ وعين سكرتيرا لمساعد حاكم لواء القدس ثم سكرتيرا لحاكم لواء القدس (١٩٢٢ - ١٩٢٦) ونقل عام ١٩٢٦ الى دائرة تسوية الاراضي في القدس وعين مخمنا للاراضي فمفتشا للتخمين من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٩ وكان مسؤولا عن سياسة الحكومة في تخمين ضرائب الاراضي .

وبعد موافقة مجلس الامة الاردني في ١٣ - ١٢ - ١٩٤٨ على توحيد ضفتي الاردن تحت التاج الهاشمي عين « سامي » مديرا لتحققات الضرائب في الضفة الغربية فرئيسا لقسم الواردات في وزارة المالية بعمان (١٩٤٩ - ١٩٥٢) .

ونظرا لخبرته الواسعة في الاراضي الفلسطينية انتخب خبيرا للاراضي في لجنة التوفيق الدولية التي دعت الى تشكيلها هيئة الامم المتحدة في قرارها الصادر في ٩ كانون الاول ١٩٤٨ وكان أن وقع الاختيار على « اثردج » ممثلا للولايات المتحدة و « يوازنجيه » ممثلا لفرنسا و « توفيق رشدي اراس » ممثلا لتركيا ومع كل منهم عدد من المعاونين، وعمل « سامي » معها في هيئة الامم المتحدة من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٥ .

ولالمامه الواسع باللغة الانكليزية ووقوفه الشامل على شؤون اللاجئين الفلسطينيين عين مساعدا لمدير مكتب اللاجئين في نيويورك فمستشارا للقضية الفلسطينية مع الوفد العراقي في هيئة الامم المتحدة (١٩٥٥ - ١٩٥٨) .

وفي عام ١٩٥٩ عين مديرا لقسم العلاقات العامة في مكتب الاعلام العربي بنيويورك التابع لجامعة الدول العربية فمستشارا في شؤون فلسطين للوفد اليمني في هيئة الامم المتحدة ، وظل يمارس عمله هذا حتى عام ١٩٦٠ ، ثم أسس مكتب الاعلام العربي في دالس (بولاية تكساس) من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٤ ثم أعيد الى المكتب في نيويورك كمدير للعلاقات العامة ، وشغل هذا المركز عاما واحدا . وفي عام ١٩٦٥ عين مديرا لمؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت وزاول عمله فيها من ١٩٦٥ الى ١٩٦٧ .

وخلال عمله في « دالس » بولاية تكساس اقام ثلاثة معارض عربية باسم الجامعة العربية ، ضمت اجنحتها لوحات ونماذج من الفن العربي وكتبا تعالج القضية الفلسطينية .

من آثاره القلمية : ملأ الاستاذ هداوي الخزانة الانكليزية بكتب وكراسات نشرها على العالم الغربي حول قضية فلسطين والظلامة التي عصفت باهلها الاصليين ، ومن آثاره في هذا القطاع انه لفت نظر المسؤولين في العالم العربي ، في كتاب وضعه عام ١٩٤٩ وفي الصحف الفلسطينية اليومية التي تصدر في بيت المقدس ، الى تأسيس دائرة تضطلع باحصاء خسائر العرب في فلسطين من جراء الكارثة العربية الاولى .

ومن ابرز مؤلفاته :

١ - فلسطين : الميراث الضائع - ١٥٠ صفحة - طبع عام ١٩٦٣

٢ - الحصاد المر - ٣٧٠ صفحة - طبع عام ١٩٦٧

(ترجم هذا الكتاب القيم الى الايطالية الدكتور بينو غاسباريني عام ١٩٦٩ وتقع الترجمة الايطالية في ٤٠٠ صفحة وتدور حول القضية الفلسطينية من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٨ و « الحصاد المر » هو اول كتاب ظهر بعد حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ يصور القضية الفلسطينية ، وقد علق عليه الكاتب البريطاني المشهور نيفل باربر في الاذاعة البريطانية بقوله : « انه اول كتاب عبر عن القضية الفلسطينية باسلوب واضح نير » كما قال فيه الكاتب الاميركي هاري هوارد : « بعد مطالعتي كتاب « الحصاد المر » اقول : انها اول مرة يعرض فيها كاتب عربي فلسطيني قدير ما حصل بعد كارثة الخامس من حزيران ١٩٦٧) .

٣ - المفكرة الفلسطينية (ج١) (من عام ١٩١٤ - ١٩٤٥) - ٤٢٠ صفحة - طبع عام ١٩٧٠

٤ - المفكرة الفلسطينية (ج٢) (من عام ١٩٤٥ - ١٩٤٨) - ٤٠٠ صفحة - طبع عام ١٩٧٠

(شارك في تصنيفهما روبرت جون) .

(استغرق تصنيف هذين الجزئين سبع سنوات ويحتويان على ٢٦٠٠ مرجع ويعالجان القضية الفلسطينية منذ ظهور الحركة الصهيونية والثورة العربية الكبرى في الحرب العالمية الاولى ، ويصوران الصراع القائم بين العرب واليهود خلال الانتداب البريطاني، كما يصوران المؤامرة الدولية ضد عرب فلسطين لانشاء دولة اسرائيل).

٥ - قرارات الامم المتحدة حول قضية فلسطين من عام ١٩٤٧ الى ١٩٦٦ - طبع عام ١٩٦٧ (ترجم هذا الكتاب الى الايطالية عام ١٩٦٧) .

٦ - المشكلة الفلسطينية امام هيئة الامم المتحدة - طبع عام ١٩٦٥ .

٧ - المشكلة الفلسطينية امام هيئة الامم المتحدة - طبع عام ١٩٦٦ .

(اشتمل هذان الكتابان على ما حصل في هيئة الامم المتحدة خلال عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ وصدرا عن « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » ببيروت) .

٨ - احصاءات فلسطينية - طبع عام ١٩٧٠ .

٩ - ملكية وتصنيف الاراضي في فلسطين - طبع عام ١٩٥٧ .

١٠ - الاقلية العربية في اسرائيل - طبع عام ١٩٥٩ .

١١ - تقسيم فلسطين - طبع عام ١٩٥٩ .

١٢ - فلسطين : سؤال وجواب - طبع عام ١٩٦١

١٣ - من يستفيد من اللاسامية - طبع عام ١٩٦١ .

١٤ - الصراع العربي الاسرائيلي (سبب ونتيجة) طبع عام ١٩٦٧

(ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية والايطالية والالمانية) .

١٥ - ملف القضية الفلسطينية - طبع عام ١٩٦٨ .

(ترجم هذا الكتاب الى العربية والفرنسية والايطالية والالمانية والاسبانية) .

١٦ - فلسطين المحتلة - طبع عام ١٩٦٨ .

١٧ - فلسطين امام هيئة الامم المتحدة : في دورتها الثالثة والعشرين طبع عام ١٩٦٩ .

١٨ - القضية الفلسطينية في الاعلام العربي - طبع عام ١٩٧٠

(باللغة العربية) .

نموذج من نثره : « في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ ، أي قبل ان يحتل الجيش البريطاني فلسطين أصدر آرثر بلفور ، وزير خارجية بريطانيا يومذاك ، ما يعرف اليوم بـ « وعد بلفور » وذلك بشكل رسالة موجهة الى اللورد روتشيلد يقول له فيها : « يسرني جدا ان ابلغكم ، بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية وقد عرض على الوزارة واقرته :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تاسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هـــذه الغاية ، على ان يفهم جليا انـــه لـــن يؤتى بعمل من شانه ان يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع بـــه اليهود في البلدان الاخرى . وساكون ممتنـــا اذا اطلعتم الاتحـــاد الصهيوني على هذا التصريح » .

لقد الفت كتب عديدة ودبجت مقالات لا تحصى حـــول الاسباب الاصلية لهذا التصريح ، ويعتقد ان هناك عوامل كثيرة تضافرت على حمل الحكومة البريطانية على التعهد بتاييد انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، غير ان عنصرا واحدا كان يتكرر فيها دائما وهو ان الهدف كان كسب عطف اليهود وتاييدهم في كل مكان للمجهود الحربي ، وحمل اليهود على استخدام نفوذهم لدى الحكومات الاخرى في مختلف بلدانهم للوقوف الى جانب بريطانيا .

ويروي جيمس مالكولم مثلا ان السر مارك سايكس ، مـــن وزارة الخارجية البريطانية ، قال له قبل دخول الولايات المتحـــدة الاميركية الحرب ان مجلس الوزراء البريطاني تواق لان تنضم الولايات المتحدة الى الحرب ، فرد عليه مالكولم « انكـــم تسيرون في الاتجاه الخطـــا وبوسعكم ان تكسبوا عطف عناصر معينة مـــن اليهود ذوي التفكـــير السياسي في كل مكان ، ولا سيما في الولايات المتحدة بطريقة واحـــدة فحسب هي ان تعرضوا عليهم المحاولة لضمان فلسطين لهم » .

ويؤثر عن ونستون تشرشل انه قال : « ان تصريح بلفور ينبغـــي اذن الا ينظر اليه كوعد أعطي لدوافع عاطفية ، بل كاجراء عملـــي اتخذ في مصلحة قضية مشتركة وذلك في آونة لم تكن فيها هذه القضية تحتمل اغفال أي عنصر لمساعدة مادية او معنوية » .

وكان لويد جورج اكثر من تشرشل صراحـــة ووضوحا اذ قال : « ليس من برهان على قيمة تصريح بلفور كخطوة حربية افضل مـــن دخول المانيا على اثره في مفاوضات مع تركيا في محاولة لايجاد مشروع آخر يجتذب اليه الصهيونيون » وذهبت لجنة « بيل » الملكية لفلسطين الى ابعد من هذا اذ ذكرت في تقريرها عـــام ١٩٣٧ « ان الزعمـــاء الصهيونيين (كما ابلغنا مستر لويد جورج) اعطونا وعدا قاطعا بانـــه اذا التزم الحلفاء باعطاء تسهيلات لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فانهم سيبذلون قصارى جهدهم في سبيل حشد عواطف اليهود وتأييدهم في جميع انحاء العالم الى جانب قضية الحلفاء ، وقـــد بروا بهـــذا الوعـــد ! » » .

٢ ـ علـــي السرطـــاوي

ولد « علي » في قرية « سرطة » بمحافظة نابلس بفلسطين عام ١٩٠٦ وفجع وهو صغير بوالده الفقيه المتعبد المتجـــرد ، الشيخ محمـــد السرطاوي امام « سرطة » وخطيبها فتجرع « علي » غصص اليتم ، لكن عمه « عبد القادر » تعهده ببره وعطفه .

تلقى « علي » تعليمه الاول في كتـــاب القريـــة ، وفي عام ١٩٢٢ اختارته مديرية المعارف العامة بفلسطين مع نفر من لداته ابناء قـــرى لواء السامرة للدراسة في دار المعلمين الابتدائية بالقدس ، وبعد نجاحه في السنة التحضيرية قبل طالبا في السنة الاولى الثانوية وفي عام ١٩٢٧ تخرج في دار المعلمين يحمل شهادتها وعين في ادارة المعارف العامة وعمل في حقل التعليم بفلسطين وزاول التدريس في قلقيلية وخـــان يونس وطولكرم ونابلس وصفد وآخر مركز شغله في التعليـــم ادارة مدرسة جنين الثانوية .

وخلال دراسة « علي » في دار المعلمين بالقدس عكف على الدرس والمطالعة واقبل على نظم الشعر واطلع عـــلى دواوين كبار شعـــراء العربية ، وقرأ الكثير من امهات الادب والتاريخ متاسيا خطـــى استاذه المربي المرحوم درويش المقدادي . وفي عام ١٩٣٨ تقدم مـــن امتحان شهادة المعلمين العليا فكان النجـــاح حليفـــه ، واقبل عـــلى الدراسات الادبية الخاصة فنهل من عيون الادبين العربي والانكليزي ، ولما جرت المناظرات الادبية بين عميد الادب العربي الدكتور طه حسين والمرحوم الدكتور زكي مبارك عام ١٩٣٤ على صفحات مجلة « الرسالة » القاهرية ادلى « علي » بدلوه في هذه المناظرات ، ونشرت « الرسالة » الكثير من أبحاثه وآرائه .

وبعد النكبة الاولى التي زلزلت الكيان العربي بفلسطين عـــام ١٩٤٨ نزح « علي » مع أفراد اسرته الـــى بغـــداد ، متجرعا الزقوم والغسلين ، حتى يسرت له الايام صديقه الدكتور هاشم جواد مدير التربية والتعليم في بغداد فهيأ له العمل ، مدرسا للغة الانكليزية في مدرسة المسيب الثانوية فمدرسا ومحاضرا في دار المعلمين الريفيـــة في بغداد .

وفي عام ١٩٥٢ عادت الايام فتنكرت له اذ كاد لـــه بعض العملاء والزبانية ، ففصل من عمله ، بل حرم عليه العمل في ايـــة مؤسسة حكومية او اهلية حتى عام ١٩٥٤ ، ففي هذا العام تكونت غرفة بغداد التجارية فاسندت الى « علي » امانة سرها ، وظـــل يعمل في هـــذه المؤسسة الاقتصادية الاهلية حتى عاد بعض الزبانية الى الكيد له ففصل من عمله في ربيع عام ١٩٥٧ وحظر عليه مزاولة أي نشاط في أي ميدان من ميادين الحياة ، واخيرا عين مدرسا في احدى قرى لـــواء الديلمية فقبل العمل على مضض . وفي هذه القرية أصيب « علي » بنوبة قلبية كادت تجهز عليه لولا ان القدر انسأ في اجله المحدود !

وفي احداث عام ١٩٥٨ التي جـــرت في العراق سارع اصدقـــاء « علي » الى دفع الظلامة عنه واعادوه الى العمل في الغرفة التجارية ببغداد وعوضوا عليه ما لحق به من خسائر مادية ، ومـــا لبث بعض عارفي فضله ان انصفوه وعينوه عام ١٩٦٣ مدرسا للغـــة الانكليزية في كلية الهندسة والصناعة فمساعدا لعميدها ومشرفا على تحرير مجلتها « رسالة المهندس » وتراس وفد معلمي العراق في الزيارة التي قامـــوا بها للقاهرة ولقوا فيها الرئيس جمال عبد الناصر والقى كلمة الوفـــد بين يديه فنالت اعجابه .

وبعد ان اطمانت نفس « عـــلي » بعض الشيء عاوده نشاطـــه الادبي وخلف صورا زاهية ومشرقة من وجدانيات ادبه جاءت موزعـــة في صحف العراق الشقيق . وفي عام ١٩٧٠ احيل على التقاعد بعد ان انشا بنيه تنشئة قومية صالحة ، وغرس فيهم حب الوطن العربـــي الكبير ، وحضهم على الاخلاص له وتذكر فلسطين ، فردوس العـــرب المفقود ، والذود عن حياضها ، فغالى الابناء بوصية الوالـــد الماجد ، حتى استشهد نجله المهندس الطيار « عمر » اثر غارة اسرائيلية جوية.

وسارعت الايام الى تبديد هـــذه الطمانينـــة النفسية فروعت شاعرنا « أبا عمر » باختطاف قرينته « ام عصام » فنجله الشهيـــد البار ، المهندس الطيار « عمر (١) » فاصطلحت عليه العلل والامراض . حتى لحق بالرفيق الاعلى في ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٧١ فخسر به ادبنا المعاصر نسرا محلقا هوى من عل ودفن في مقبرة جامع الامام أبي حنيفة في حي الاعظمية ببغداد .

من آثاره القلمية : جمع « علي » الكثير من قصائده ومقطعاته في ديوانين هما :

أ ـ السفينة الكبرى

ب ـ السفينة الصغرى

وقد ضمنهما بعض آثار والده الشيخ محمد السرطاوي الشعرية ذات النزعة الروحية والموشحات والاناشيد والابتهالات .

جـ ـ وليام تل (مسرحية نقلها « علي » عن الانكليزية وقد نشرها اولا في مجلة « رسالة المهندس » البغدادية) .

نماذج من شعره : كان « علي » شاعرا بالفطرة ، وقرض الشعر في صباه ، وتطارح القول مع صفوة مختارة من الشعراء امثال : عمر أبو ريشة ، أبو سلمى ، محمد العدناني ، محيي الدين الحاج عيسى ، محمود الحوت ، الشهيد عبد الرحيم محمود ، ابراهيم طوقان ، عبد الهادي كامل ، مطلق عبد الخالق ، راتب الشامي ، نازك الملائكة ، خالد نصره .

وتميزت مطارحاتهم الشعرية بالوان من الغزل والهجاء والتشطير والاخوانيات والوطنيات . ونشر « علي » الكثير من نفثات قلمه في مجلتي « الرسالة » و « رسالة المهندس » وفي جريدة « صوت الشعب » البيتلحمية وفي صحف ومجلات تصدر في العراق .

وفي قصيدته « فلسطين » تغنى « علي » بوطنه المغصوب ، وسال عن كل مدينة وقرية ، وحن الى كل زيتونة في « سرطة » والى كل تينة ودالية في مسقط رأسه .

وفي اعتداء اسرائيل على قرية « السموع (٢) » بمحافظة الخليل بفلسطين أرسل « علي » قوله :

فلسطين احلى لفظة ما ذكرتها لنفسي الا فاض دمعي على الخد
فلسطين داري والديار عزيزة لها الحب في قلبي المقيم على العهد
فلسطين انت الحب والاهل والمنى وانت مدى الايام شامخة المجد
فلسطين كيف اجتاح ربعك غادر وحدك من ماء المحيط الى نجد
غرامك في روحي وحبك في دمي رضعت الهوى والحب مذ كنت في المهد
لقد زادني فيك التشرد لوعة وعلمني صدق الحفاظ على الود
تراك على بعد المزار خواطري وراء ضباب الدمع أبهى من الخلد
وليست دموع الباكيات وانما دموع حنين الشوق للام في البعد
اذا طار طير من حماك سألته عن الاهل والاحرار في ذلة القيد
وان ذر قرن الشمس راحت عواطفي مع النور تسري في السهول وفي النجد
وفي الليل كم روحي اليك بعثتها اذا هاجني الشوق المبرح في السهد
وان باعدت ما بيننا في حياتنا صروف الليالي أنت في مهجتي عندي
ترى كيف «يافا» يا بلادي واهلنا هناك واحبابي المقيمون في «اللد»
وكيف غدت من بعدنا «الرملة» التي بها نفحات من أمية كالند
وكيف غدت «حيفا» رعى الله ربعها و «كرملها» مهد الصنوبر والورد
وهل « طبريا » والبحيرة بعدنا تعيشان في أمن وفي عيشة رغد
وهل «صفد» روحي فداها وأهلها بخير وخل نازح صادق العهد
وهل «جرمق» ما زال في كبريائه يزلزل أهل البغي بالبرق والرعد

وتذكر « علي » « الطابغة (٣) » وقد أمضى فيها ليلة من ليالي العمر فانشأ يقول :

يا ليلة قضيتها في « الدير » في « الطابغة »
حولي البحيرة والحقول الخضر ذات النضرة
وعلى مدى بصري بدت « حطين » مثل النجمة
وبدا « صلاح الدين » منتصرا شديد السطوة
وبدا كأحلم قائد في ذروة المعركة
حقن الدماء ولم ترق في النصر اية قطرة
ورأيت في عين الخيال مواكب النبوة
عيسى بن مريم في التواضع كان أحسن قدوة
رمز المحبة والسلام ورمز كل فضيلة
يمشي مع الفقراء ماض في ثياب رثة
يشفي المريض اذا أتاه بمعجزات القدرة
ولكم بصير قد أتاه فعاد صافي النظرة
يدعو الانام الى السلام ونعمة المحبة
ما زال في سمع البحيرة صوته في الموجة
المؤمنون بديشه فازوا باكرم عزة
والكافرون به غدوا في الكون أحقر أمة
كفر اليهود به فعاشوا في هوان الذلة
آباؤهم لعنوا وهم ورثوا هوان اللعنة

وترجم « علي » قصائد من الشعر الانكليزي نظما الى العربية ومن مترجماته قصيدة للشاعر الفرنسي « اندريه ريفوار » ومن مقاطعها قوله :

انطلق في الحياة وامش على الشوك قويا كالمارد الجبار
شامخ الراس والعزيمة تمضي فوق نار الاخفاق كالاعصار
في رحاب الحياة عش شامخ الروح أبيا يدوس وجه النضار
احترق في الطموح والمثل الاعلى وما في العذاب من اسعار
احترق في الكفاح وافن نضالا في صميم الاهوال والاخطار
هكذا يغلب الحياة ويحيا ذو جنان في العز والاكبار
يثبت الباسل المظفر فيها وعلى ثغره ابتسام احتقار

ان تلاشت أحلام قلبك في يأس فحاول احياءها من جديد
او اذا اوهنت عزيمتك الدنيا فجدد عزيمة من حديد
او اذا ما طوى أمانيك اخفاق فلا تيأس وابتهج في الوجود
خذ جناحا وطر بما فيك من خيبة سعي الى طموح بعيد
احترق قوة وضعفا وعزما وعذابا في النار ذات الوقود
احترق صحة وسقما وبؤسا وتغلب على جميع القيود
احترق في الحياة فوق أمانيك وعش في الحياة عيش الاسود

٣ ـ ميشيل أبيكاريوس

ولد « ميشيل » في مدينة بيروت عام ١٨٨٤ ودخل مدرسة ابتدائية في حي المصيطبة عام ١٨٩٢ وصرف فيها ثلاثة اعوام ثم التحق بمدرسة عينطورة عام ١٨٩٥ وامضى في قسميها الابتدائي والثانوي ستة اعوام ، وفي عام ١٩٠١ أمضى في « الكلية الانجيلية السورية » (الجامعة الاميركية ببيروت اليوم) اربعة اعوام ودرس التجارة وفي عام ١٩٠٥ بارح بيروت الى القاهرة للالتحاق بافراد اسرته وعمل في « بنك كريدي ليونيه » وما لبث ان انضم الى حكومة السودان وعمل معها مدة قصيرة ثم التحق بـ « بنك مصر » في الخرطوم واصبح مساعدا للمدير ثم نقل مديرا لـ « بنك مصر » في بور سودان . وفي عام ١٩١٢ اصيب هذا البنك بشلل في اعماله المصرفية فتركه « ميشيل » وعين موظفا في دائرة المالية بالمنصورة ، وفي عام ١٩١٤ أقبل على درس الحقوق وأدى الامتحان امام لجنة افرنسية فاحصة كانت تؤم مصر سنويا لفحص الطلاب المنتسبين لدرس الحقوق وفي عام ١٩١٧ أدى امامها الفحص النهائي فنجح ونال شهادة ال ال دي ونقل موظفا الى مالية طنطا .

وبعد ان بسط الجيش البريطاني ظله على فلسطين قصد

---

١ ـ ولد « عمر » في مدينة جنين بفلسطين عام ١٩٤٢ ونزح مع والده الى بغداد عام ١٩٤٨ وأتم فيها دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ثم ارسل في بعثة الى كلية الطيران في مدينة « بيرك » ببريطانيا حيث اتم دراسته وكان الاول في دورته . وبعد عودته الى بغداد عمل مهندسا في الخطوط الجوية العراقية ثم التحق بحركة التحرير الفلسطينية « فتح » وكان من ضباطها اللامعين . وفي ٤ ـ ٨ ـ ١٩٦٨ استشهد في الغارة الجوية الوحشية التي شنها العدو الاسرائيلي على الفدائيين العرب في « وادي شعيب » بمحافظة السلط .

٢ ـ السموع : قرية تقع الى الجنوب الغربي من مدينة الخليل وعلى بعد عشرين كم تقريبا .

٣ ـ مشتى يقع على شاطىء بحيرة طبرية ويملكه دير اللاتين .

« ميشيل » القدس عام ١٩٢٠ وعين في دائرة المالية للقوات البريطانية المسلحة لفلسطين التي تحولت الى حكومة الانتداب بعد ان تسلمت الحكومة المدنية سلطاتها بفلسطين وفي عام ١٩٢٥ رقي الى وظيفة مساعد مدير الخزينة فنائبا للسكرتير المالي .

وفي عام ١٩٤٠ ساهم في « لجنة اليتيم العربية العامة » وانشأ مع اعضائها « معهد ابناء الشهداء في دير عمرو » (غربي مدينة القدس) .

وفي عام ١٩٤٤ احيل على التقاعد وزاول الاستشارات الحقوقية، وبعد خروج البريطانيين من فلسطين عام ١٩٤٨ قصد مدينة بيت لحم وفي شهر آب تم الاتفاق بين جامعة الدول العربية والزعماء الفلسطينيين على تشكيل « حكومة عموم فلسطين » واثر انعقاد « مؤتمر غزة » بتاريخ ١ تشرين الاول ١٩٤٨ تشكلت هذه الحكومة برئاسة المغفور له أحمد حلمي باشا عبد الباقي وعين « ميشيل » وزيرا للمالية .

وفي صيف عام ١٩٤٩ نزح الى بيروت وانضم للتعليم في الجامعة الاميركية كاستاذ مساعد وتولى تدريس القانون الاداري والقانون الدستوري في لبنان وسورية والعراق والسعودية ومصر وترجم القانون الاداري والقانون الدستوري الى اللغة الانكليزية .

وبالاضافة الى عمله كاستاذ مساعد في الجامعة الاميركية ببيروت انضم الى جهاز طيران الشرق الاوسط وفي عام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ عمل مع النقطة الرابعة ببيروت وأسس معهد الصناعات لتعليم الادارة ثم عين مساعدا لمدير النقطة الرابعة واطرى المسؤولون في النقطة الرابعة اعماله وانجازاته في التقارير التي كانوا يرسلونها الى واشنطون .

من آثاره القلمية : بالرغم من عمل المرحوم ميشيل ابيكاريوس في حكومة الانتداب وبلوغه مركزا حكوميا حساسا لم يكن راضيا عن سياسة بريطانيا واعمالها التعسفية في فلسطين . وبعد احالته على التقاعد استلهم ضميره ووضع كتابا نفيسا باللغة الانكليزية ليقرأه الغربيون ثم ترجمه الى العربية « فلسطين من وراء ضباب الدعاية » وفي هذا الكتاب دحض المرحوم ابيكاريوس الدعاية المضللة التي تقوم بها الصهيونية العالمية ضد العالمين العربي والاسلامي .

وخلال عمله في الجامعة الاميركية صدر بقلمه كتاب بعنوان « العربي الحي » .

وفي الثالث عشر من أيلول ١٩٥٣ توفي المرحوم « ميشيل ابيكاريوس » بالذبحة القلبية في بيروت ودفن في مقبرة الزيتونة التي تمتلكها طائفة اللاتين .

نموذج من نثره : « أريق فيض من المداد هدرا في تمجيد ما انجزه اليهود في فلسطين ، وان تيار الدعاية الذي شرع فيه حينما اصبح قيام الوطن القومي اليهودي محتملا ، قد كسب زخما من كل انجاز يدعى به ، حتى اصبح مثل النهر الواعي لقوته قد حمل معه الرأي العام والعطف غير عابىء بالحقائق الواقعية للقضية .

لقد جرت بضع محاولات قام بها العرب واصدقاؤهم لتنوير الرأي العام بسيل من الحقائق في الصحف اليومية الكبرى حتى العام الماضي ولكن دون جدوى ، وان القليل الذي تسرب من وقت الى آخر ، كان متقطعا بحيث انه لم يؤثر قطعا حتى على صفحة التيار الجياش للدعاية الصهيونية ، ولكن لماذا تخلت الصحافة التي من واجبها تنوير الرأي العام ، عن تقديم حساب متوازن عن الوطن القومي اليهودي في فلسطين ؟ ولماذا تزود الصحافة قراءها بايضاحات غير متوازنة للقضية؟ هل المحررون ومساعدوهم مقتنعون بان تقديمهم هو الصورة الصحيحة لما هو حادث في الواقع بفلسطين ؟ حتى ولو كان الامر كذلك ، فان هذا لا يوضح لماذا في بلاد مشهورة بالديموقراطية يمنع الانسان منعا باتا من التعبير للجمهور عما يعتقده ، ان صحيفة حزبية ليس من المحتمل ان تتيح المجال لتعطي فراغا في اعمدتها لنشر اية مواد دعائية لحزب مناوىء . ولا يتوقع احد يملك حواسه من ان يذهب الى صحيفة « ذي نيو جوديا » مثلا ويطلب اليها ان تتكرم وتخصص اعمدتها لنشر المقالات عن القضية العربية . لم يتقدم أحد ، الى مثل هذه الصحيفة الحزبية قطعا ، ومع ذلك فان الصحافة في مجموعها لم تعط القضية العربية الفلسطينية الا النذر القليل من الدعاية او لم تعطها دعاية بالمرة مهما كان لون تلك الصحيفة او عقيدتها !

وليفترض المرء ان السبب في ذلك يعزى الى ان هنالك يهودا عديدين ذوي نفوذ في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، ولكن لا يوجد عرب يتمتعون بنفوذ فيهما . فليس هنالك اصحاب صحف عرب ، او اعضاء في مجلس الشيوخ ، او اعضاء في البرلمان ، وندرة من الكتاب العرب الذين يكتبون بالانكليزية ، ولهذه الاسباب فان تقديم القضية العربية قد عفت عليها يد الاهمال .

وخلال متاهة نصف الحقائق وتشويه الحقائق ، التي تنشر وقد ضاقت انفاسها ، فقد يحدث ان يتوقف احدهم قليلا ليتنفس الصعداء وسرعان ما يكتشف ان القضية التي عرضت تحتاج الى تحقيق ادق ، وآخرون يحاولون عن كثب البحث عن الحقائق الكامنة خلف الانفجارات المتفرقة لعواطف العربي المكبوتة ، بالرغم من المحاولات الحاذقة التي تبذل لاظهاره بخلاف ذلك ، فهو لا يختلف عن اي انسان كان ، فان رد فعله للحيف او لاي شيء يرى انه يسيء الى كرامته وفخاره ، او يقف حجر عثرة في طريق حريته او يغلق باب الاستقلال في وجهه بحيث يجيش وعيه القومي ، لن يكون مخالفا لرد فعل الناس الآخرين . لقد سعى العرب وغيرهم ان ينشروا حقائق قد تأكدوا منها ، وقد ظهر أثران لهما قيمتهما ولكنهما حتى وقت قريب لم يتجاوزا طبعتهما الاولى هما :

١ – يقظة العرب لجورج انطونيوس

٢ – فلسطين الحقيقة لجفريز

ان الدعاية الواسعة النطاق للكتابات التي تمجد المنجزات اليهودية تغطي كافة الاعمال الانسانية من الحليب الذي يقدم للاطفال والمرضعات الى انشاء مستعمرة في ظلام ليلة من لا شيء . وليس احد من البلاهة بحيث ينكر ما قام به اليهود لانفسهم بفلسطين خلال ربع قرن ، ولكن ابراز هذا للعالم كبينة على ان العرب غير أهل لتنمية بلدهم لهو تشويه فظيع للحقائق . ذلك ان التنمية يجب ان تسير في الطريق التي تشير اليها حاجات الفرد او الامة . ومن الحمق اذا استثمر الفلاح امواله في شراء بقرة هولندية حلوب ، في حين ان حاجته ماسة الى حيوان للحرث ، كما يكون من الحماقة والغباوة ايضا اذا ما اشترى ثورا او بغلا اذا ما كانت بقرة بلدية تكفي لقضاء حاجته ، ثم تعطيه بالاضافة الى ذلك قليلا من الحليب . واذا ما اردنا الوصول الى تقسيم حقيقي لتقدم العربي وجب ان نربط بين انجازاته وحاجاته ووسائله الفردية ، ووجب ان لا يغرب عن البال انه يقف وحيدا دون مساعدة خارجية ، في حين ان ما قامت به الحكومة للفلاح العربي لا يعدو عن كونه مسكنا من مسكنات الاستعمار » .

عمان – الاردن

البدوي الملثم

الحاج احمد صابر ضخم الجسم مندلق البطن واسع العينين منتفخ الجفون كبير الرأس طويل القامة ممتلىء الاصابع . انه مجموعة من الغلظة متناسبة الاجزاء . وهي وان كانت لا تروق من يلقي نظرة عليها من الناس العاديين الا انها تلفت انظار أولئك الذين يتذوقون الفن من المثقفين .

الحاج احمد صابر جهوري الصوت لامع العينين قوي الاعضاء سليط اللسان جرىء الكلام . مساير تارة ساخط اخرى . قليل الضحك كثير الرزانة . انه شبيه بآلة تعمل في انتظام . وهو وان كان يصدم بعض القلوب الرقيقة الحساسة الا ان الرجل العملي يعجب بسلوكه المنظم المتقلب .

وابنه عبد السلام شاب نشيط الحركات دمث الاخلاق حلو الابتسام يسلي محدثه بما يسرد عليه من اخبار المدينة وحوادثها وان كان قد عجز عن ان ينال الشهادة الثانوية في ايام الدراسة لكسله وضحل تفكيره . انه على كل حال متفوق على ابيه في هذا الشأن لان اباه لم يجاوز تحصيله الدراسي الصف السادس الابتدائي .

اما زوجته ثريا فهي بيضاء اللون بدينة مثله . وبذلك ضاع بياضها سدى في اعضاء جسمها المتباعدة المتسعة المساحة ضياع البياض الحليبي الصافي في غيوم الشتاء . صوتها رقيق نحيف مطرب النغمة ، ولكنه غريب عن فمها الواسع الرقيق الشفتين . وعنقها طويلة ، ولكنها غليظة . ووجهها ناعم البشرة ، ولكنه مستدير استدارة الكرة . وشعرها سميك ذو لون أسود فاتن الا انه خفيف مسترسل الى كتفيها في اهمال . انها أمية مهملة .

وجاره سمير رجل هادىء تقاطيع الوجه معتدل القامة مرفوع الرأس خفيف الوزن والظل . يفكر كثيرا ويتكلم قليلا . صوته ناعم هادىء ينم على ما ادخر عقله من معرفة غزيرة كما ينم البخار الكثيف على امتلاء المرجل بالماء . حركاته بطيئة ولكنها خفيفة . وبذلك تكون منسجمة مع صوته . ويشعر محدثه ان ذلك الرجل بدا له في حلم جميل في ليلة من ليالي الصيف . وهو يطلق العنان لشدقيه حينما يهز المرح عاطفته ، فيضحك ملء فمه ضحك الغلمان . ولكثرة تعوده الضحك لم يتقن العبوس . غير ان له رزانة من نوع غريب تجعل الانسان يحترمه ويحبه في آن واحد .

وابنه زاهر شاب انيق الملابس



بقلم عبد الحميد الانشاصي

جديد المظهر زاهي الالوان . وبذلك يبدو ناضرا كفرع أخضر نبت من غصن شجرة يرقوق منذ عهد قريب . اخذ عن ابيه كثرة الضحك والابتسام . وهو يحب المزاح ويعرف كيف يكتسب الاصدقاء . وقد فاز بشهادة جامعية في الطب . والمرضى يعترفون ببراعته في الطب وان لم يروا شهادته معلقة على احد جدران مستوصفه .

وزوجته سحر ذات وجه بيضوي جذاب بشقرته واشراقه المكتوم



الاشعة . وفمها الصغير ذو الشفتين المبطنتين يبدو كبرعم متفتح لا كثقب في جدار ابيض او في قطعة من القماش القطني . وصفاء لمعان عينيها وهدوء نظراتها ونعومة بشرة وجهها تؤكد للناظر انها على استعداد للابتسام في كل حين . وهي مثقفة كزوجها وان كان تواضعها يوهم الانسان انها ليست كذلك .

الحاج احمد صابر يقيم في دار بعض حجاراتها حمر وبعضها سود ، ولكن ينقصها الذوق الهندسي السليم . اشترى حجارة غالية الثمن لبناء داره ، ولكن المهندس الذي رسم خارطة لمنزله لا موهبة له . ولعله آثر ذلك المهندس على غيره لضآلة المبلغ الذي نقده اياه ثمنا لخارطته . ان شرفات داره قليلة وصغيرة ، وهي تبدو للعين كعلبة من علب الكبريت .

اما سمير فهو يقيم في دار حجارتها منقوشة نقشا متقنا دقيقا ، وفنها الهندسي رائع يختلف عن هندسة ما حولها من الدور . ويشعر من يدخلها ان صاحبها المثقف بث ثقافته في كل جزء منها حتى جعلها تنسجم معه وتصبح شبيهة بكائن جميل حساس يدخل على صاحبه البهجة والهناء ويريحه في كل حين .

كان الحاج أحمد مدار سكان الحي كله . كل يتقرب اليه ويجامله ويتحبب اليه ويستعين به لقضاء حاجة له ، فقد كان الحاج احمد شبيها بمختار القرية كوسيط بين السكان والحكومة . له معارف واصدقاء كثيرون في الوزارات وغير الوزارات . وهم يحترمونه ويلبون طلباته لانه ثري وسليط اللسان .

ومنذ شيدت تلك الدار الفخمة وسكنها جاره سمير وهو يتذمر نهارا ويتململ قلقا على فراشه ليلا لان سميرا استطاع في زمن قصير ان يجتذب اليه سكان الحي ويغض عن الحاج احمد تلك الحلقة المؤلفة من

اصدقائه ومعارفـــه المتزاحمين . استطاع ان يفعل ذلك بما أوتي من ذكاء وثقافة ولباقة في المعاملة . انه يعامل الناس معاملـــة عصريـــة . وفضلا عن ذلك فان معظم سكـــان الحي من التجار . وهـــم بحكم مهنتهم مرتبطـــون بالمصارف . وسمير مدير مصرف معروف كثير الفروع ، فهو لذلك مفضل علـــى الحاج احمد الذي لا يمتاز الا بثرائه واصدقائه من ذوي النفوذ الذيـــن قلما تكون لهم علاقة بالتجار .

غاظ الحاج احمـــد ان يـــرى السيارات مصفوفة على مقربة من باب دار جاره ، وان يرى منـــزل سمير مزدانـــا بهندسة رائعـــة ، وحديقته مزدانة بأزهار مشرقـــة . اما هـــو فأصوات اولاده اللاعبين المتضاربين تنبعث مـــن باب داره ونوافذها .

(اصوات من الداخل : ان سميرا يقود سيارته بيديه ، وهـــو يأخذ معه زوجته واولاده ويذهب بهم الى مكان بعيد ترويحا عـــن النفس . يفعل ذلك كل يوم تقريبا . ما أجمل اشكال اولاده ؟ ومـــا ابدع طريقتهم في الحديث ؟ منزله يبـــدو كزهرة ضخمة جميلة بين ازهـــار حديقته الغريبة . ولديه خادم ينظم حديقته ويقوم باعمال منزله الخارجية) .

(منظر في الداخل : يمر بسمير وهو سائر على احد ارصفة الشارع ، وينظر اليه شزرا وقد اودع نظرتـــه صوته الجهوري وغيظه وتهديده . ثم اقترب منه وهو يحدق اليـــه . فالتفت اليه سمير متنبها . وجذبه الحاج احمد من ذراعه في قوة هزت ذراعه ، ولكنها لم تهز ثيابه وثقتـــه بنفسه ، وقال له : « اتجترىء علي وتختلس مني المشيخة ؟ ») .

« اصوات من الخارج : لقـــد انطفأ الحاج احمد . ولت ايامـــه . لم يعد شيخا للحي . سمير اخـــذ مكانه . سمير هو الآن المرجع في كل شيء . كأنـــه رئيس حكومـــة .

ـ واأسفاه عليك يا حـــاج احمد ! كأنك لـــم تكـــن . ـ ان الناس لا يقيمون للحاج احمـــد وزنا ولا يلتفتون اليه في هذه الايام . دنيـــا ! هذه هي احوال الدنيا . لا يـــدوم شيء على حاله » .

ـ ثريا ! لماذا لا تحاسبين الاولاد على ما يقومون به من اعمال شاذة ؟ لماذا لا تضربينهم حينما يلعبون هذا اللعب الصاخب الذي يلفت الينـــا انظار الجيران ويجعلهم يأخذون عنا فكرة سيئة جدا ؟ انهم يظنون اننـــا متوحشون لا نفهم . انهم يضحكون علينا .



عبد الحميد الانشاصي

●

(انك انت السبب في كل ما جرى لي . أنت التي جررتني الى هـــذه الهوة السحيقـــة والقيتني فيهـــا بجهلك وسوء تصرفاتك لانك أميـــة لا تعرفين القـــراءة والكتابة كمـــا تعرفهما زوجة جارنا سمير) .

ـ ماذا افعـــل بالاولاد ؟ انهـــم اشرار . لقد خلقوا اشقياء . فمـــا ذنبي ؟ انهم لا يحترمون احدا .

ـ ولكنهم يحترمونني حينما اكون في المنزل . نظرة واحدة مني كافية لان ... ينبغي للانسان ان تكون له شخصية قوية لكـــي يتمكن مـــن التأثير في غيره .

(وانت لا شخصية لك . انـــك مهملة في كل شيء : في ثيابك التـــي ترتدينها ، وفي ترتيب شعـــرك ، وتحسين وجهك . يعوزك كل شيء حتى تصبحي زوجة جذابة ومحترمة كسحر . الحق علي انـــا لانني تسرعت بالتزوج بـــك . مـــا كان اغباني !) .

ـ انك رجـــل . والرجـــل غيـــر المراة . وانـــا مشغولة بالاعمـــال المنزلية من طبـــخ وكنس وغسل . انني لست في متسع مـــن الوقت حتى أحاسب الاولاد على ما يفعلون . مرارا صحت بهـــم ، وكثيرا مـــا ضربتهم بيـــدي تـــارة وبالعصا أخرى . ولكنهم لم يطيعوني . ما زالوا اشرارا يكسرون الصحـــون والكـــؤوس ، ويرمـــون الملاعـــق والسكاكين ، ويوسخون الجـــدران والابواب .

(كدت اموت ضيقا من اعمالهم . كثيرا ما حدثتني نفسي بالخـــروج من هذا المنزل والاستراحة منهم) .

« ـ يا ولدي عبد السلام كـــن انيق الملابس . خـــذ حريتك في الحياة . اظهـــر في مظهر الشاب العصري . انك لبـــق ومجرب ولا ينقصك شيء غير الروح العصرية . انني متقدم في السن ولست شابـــا مثلك . لو انني شاب لرأيتني في غير هذه الحال . ـ ماذا اصنع يا ابي حتى أكون عصريا ؟ انني راض عـــن نفسي ، واصدقائي ومعارفي راضون عني . ـ لـــماذا لا تتعلم قيـــادة السيارات بيديك كما يقودها جارنا سمير وابنه زاهر ؟ لماذا تستخدم سائقا لهذا الغرض ؟ ـ انني يا ابي مشغول بالاتجار بالاقمشة كما ترى ، وليس لدي وقت لتعلـــم قيـــادة السيارات . ـ لا ، قل : « انني اخشى قيادة السيارات فقد ادوس

الناس في طريقي » . هذا هو الذي ينبغي لك ان تقوله لـي . أليس كذلك ؟ انني رجل من العصر الماضي . وقد مضى وقتي . اما انت فشاب تنتمي الى القرن العشرين . لذلك يجب ان تكون اعمالك اعمال ابن القرن العشرين ».

حار الحاج أحمد في امره . لم يدر ماذا يصنع حتى يرتقي الى مستوى جاره سمير . لقد انتبه فجأة فوجد جاره في السماء ، ووجد نفسه على الارض . ولم يخطر في باله ان جاره ارتفع الى السماء بالتدريج . ارتفع بجهده في تحصيل العلوم ، وبمعاملة الناس معاملة حسنة ، وبنيل المنصب الذي تقلده ، وبتأليف أسرة رفيعة الشأن منسجمة الاعضاء ، وبالاقامة في دار انيقة رائعة الهندسة . والآن الحاج احمد يريد ان يرتفع الى السماء بقفزة واحدة ليستريح ذهنه ويتغلب على خصمه وليتخلص من كلام الناس الذي ينخسه من حين الى آخر . يريد ان يتخلص من زوجته ولو بالطلاق ليتزوج فتاة عصرية مثقفة . ولكن وجود اولاده من حوله يحول دون تطليق زوجته. لم يجد له منفذا للتخلص منها . انها لا تصلح محدثة ولا مفكرة ولا مؤنسة . لا تصلح الا للطبخ والكنس والغسل . ولكنها مناسبة له على كل حال . انها مثله متخلفة عن عصرها . وأمله الوحيد في ولده الاكبر عبد السلام . انه مثقف بعض الشيء ويصلح للتقدم ، ولكنه كسلان قنوع لا همة له . لقد سدت في وجهه الابواب واغلقت الطرق .

وفي ذات يوم التقى في طريقه احد اصدقائه فقال له :

— أين انت ؟ انني لم أرك منذ زمن طويل .

(هل نسيتني ؟ كنت تزورني كثيرا في منزلي . هل شغلك سمير عني يا جاحد المعروف ؟ هل نسيت انني قدمت اليك أشهى الفواكه في منزلي ؟ هل نسيت انني دعوتك مرة لتناول الغداء معي ؟) .

فتنهد الرجل تنهدة طويلة عميقة حزينة ثم اجاب :

— لعن الله الاشغال ! انها تلهي المرء عن صديقه .

(ماذا أصنع لك ؟ هذه احوال الدنيا . يوم لك ويوم عليك) .

فابتسم الحاج أحمد ابتسامة رقيقة عذبة وقال :

— تفضل بزيارتي في منزلي . أانتظرك في عصر هذا اليوم ؟

(انك ذو نفوذ وقد تساعدني على اقناع بعض سكان هذا الحي بالالتفاف حولي) .

— ان شاء الله .

(انني لا ارغب في ذلك) .

— واذن فسأنتظرك في المنزل .

فزاغ نظر الرجل وقال :

— انني لا استطيع ان اعدك . هذا مرتبط بالظروف .

(دعني وشأني . انصرف !) .

« اصوات من الخارج : ما هذا التكبر يا حاج أحمد ؟ كل الناس يزورون سميرا في منزله . انك لست خيرا من غيرك من سكان هذا الحي . — ما زال الحاج احمد متوهما انه شيخ الحي . انه لا يعترف معنا بأن يومه مضى ومجده ولى . انه لا يعترف ان سميرا اوسع منه عقلا واغزر ثقافة وارفع مقاما . ان الامر ليس بالثروة والغنى . غنى العقل هو كل شيء . — يجب ان يخضع الحاج احمد لسمير ويعترف له بالمشيخة. هذا هو الواقع » .

ولكن الحاج احمد ابى ان يستسلم لسمير ويعترف له بالمشيخة . يريد ان يعزز مكانته ويرفع من شأنه . ما زال يسعى حتى زوج ابنه عبد السلام بابنة وزير ذي حسب وجاه . فاقبل عليه بعض اصدقائه ومعارفه من الموظفين ، فانشرح صدرا ، وبدا الامل يتمشى في اعصابه . امل ان يقضي على خصمه سمير ويستريح من همه . ان حزبه الآن من الموظفين الذين يحتاجون اليه في اوقات المشاكل والازمات .

وراح الحاج أحمد يثني على الوزير وعلى ابنته الحلوة الفاتنة الجمال التي كانت السبب في تجديد حظه في الحياة . واعجب بابنه اذ رآه الآن شابا آخر يختلف عنه قبل الزواج . عد نفسه ذكيا لبقا لانه اعمل فكره حتى استطاع ان يبتدع فكرة تزويج ابنه بابنة الوزير . لقد ناسب رجلا ذا حسب وجاه ، فهابه معارفه واحترموه . اما وقد اجتذب اليه بعض الموظفين من سكان الحي فان في امكانه ان يكسب عددا من التجار . حاول ذلك بدعوة بعضهم لتناول الغداء معه . فرفض بعض التجار الدعوة ، ولباها بعضهم ، ولكن هؤلاء وأولئك لم ينضموا الى حزبه .

وانه ليفكر في طريقة يستميل بها بعض التجار اليه اذ وقعت عيناه في احدى الجرائد على نبأ تعيين زاهر ابن جاره سمير وزيرا ، فهو طبيب موفق له شهرة واسعة في المدينة . فشعر الحاج احمد ان صرح آماله انهار امامه ، وان كل امل في ان يقهر خصمه سميرا قد تحطم . ومما زاده غيظا ان الموظفين الذين آزروه قد انفضوا عنه لان ابن سمير أصبح وزيرا . فما حاجتهم الى الحاج احمد ؟ ان كان ابنه نسيبا لوزير فان ابن سمير نفسه اصبح وزيرا .

(اصوات من الداخل : لا حظ لي . لم اترك وسيلة تؤدي الى رفعة شأني دون ان اتخذها . ولكنني أضحيت الآن منحوس الحظ . لقد ولى مجدي كما يقول الناس . هذه ارادة الله . لقد قدر علي ان افقد مجدي . ارى انه من المحال ان استرده) .

« اصوات من الخارج : ما الفائدة من هذه المحاولات الفاشلة ؟ كل

نجوى في رباعيات

بوح الرضا ! أم رحيق الصفو أسكرني ... ومانح الود بعد الصد حيرني
لقد أطال سهادي والهوى عجب ... فالقلب يوم رأى الاشفاق أنكرني

أهوى من العيش حب النفس للغزل ... والحب في مذهبي كالنور للمقل
ولو يشاء حبيبي مقلتي معا ... قدمت عيني ان ما شاء في خجل

دع عنك يا عاذلي لومي وتأنيبي ... فان لومك لي في الحب يغري بي
أني رضيت الهوى صفوا ومعتكرا ... وجانب الصفو يحلو بعد تعذيبي

أني أغار من الاضواء في الظلم ... اذا تسلل ضوء غير محتشم
وراح يغري الذي اهواه رونقه ... والروح ان راقها داعي الهوى تهم

أخشى على ظل من اهواه من عطب ... اذا ارتمى من ضياء غير محتجب
فقد يمر عليه السائرون وبي ... خوف عليه يكاد اليوم يعصف بي

يا فاتن الطرف أني عاشق وظمي ... وبين كفيك أحيائي من العدم
جد لي بوصل يسير ، ان سمحت به ... أحيا واخطر في الدنيا على قدمي

القاهرة — أحمد عبد المجيد

جهودك ذهبت سدى يا حاج احمد. ألق سلاحك واستسلم . ــ ليس عيبا ان ينضم الحاج أحمد الى حزب سمير . ان سميرا اوسع منه عقلا واسمى اخلاقا . ان هذا الرجل هو الشيخ الذي يحتاج اليه الحي . ــ نحن مالنا وللحاج أحمد؟ ان رجلا مثله لا يصلح ان يكون شيخا لانه لا يمتاز علينا بشيء . ليس له الا ان يعترف لسمير بالمشيخة . ومهما يكن من شيء فانه ليس ذا شأن سواء اعترف بذلك ام لم يعترف » .

عاود الحاج احمد همه ويأسه فأضحى وحيدا كما كان قبل . ان كلمات الناس وهمساتهم تلاحقه في كل مكان . كل يريده ان يخضع لسمير ويعترف له بالمشيخة . شعر بالغربة في الحي . شعر بأنه منبوذ. لم يكتف الناس بتجريده من المشيخة واناطتها بسمير . بل راحوا يحطون من شأنه ويتهكمون به ويسخرون منه . رأى ان ذلك كثير عليه . لم يستطع احتماله . واذن فلا بد له من النزول على رغبة اهل الحي والا اضطر الى الرحيل الى حي آخر بعيد . غير ان في ذلك هزيمة واضحة . ينبغي له ان يساير السكان ويتحبب اليهم بالانتماء الى حزب سمير وان كلفه ذلك غاليا . ان انضمامه الى ذلك الحزب يضع حدا لتهكم الناس به وسخرهم منه . حسبه ذلك منهم .

بعد مرور بضعة اشهر تبين للحاج احمد ان في انضمامه الى حزب سمير فائدة له فان هذا الرجل واسع العقل والنفوذ ، وفي امكانه اذا تقرب اليه واخلص له ان يعيد اليه شيئا من المهابة والمحبة بين معارفه . لذا قرر في نفسه ان يستسلم له .

وجاء يوم التنفيذ . كيف يدخل على خصمه ويتحبب اليه ؟ انه لم يتعود الجلوس بجانبه ومحادثته ؟ هل يذهب اليه وحده أم يذهب ومعه واحد من اصدقائه الباقين ؟ استسلم له في نفسه ، ولكنه تعذر عليه ان يستسلم له بعمله .

وفي ذلك اليوم رأى بعض الجيران الحاج احمد يسير هو وصديق له متجهين نحو باب منزل سمير . ولما دخلا الدار شعر الحاج أحمد بأن صديقه يسوقه الى غرفة الاستقبال في منزل سمير كما يسوق الشرطي المتهم الى المخفر . ولكنه شعر في الوقت نفسه أنه متى مرت اللحظة العصيبة التي كان يخشاها بعد دخوله غرفة سمير والجلوس بجانبه ــ أصبح رجلا محترما مطهرا من العناد والكبرياء والانانية وفائزا بوسام المصلحة العامة .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



طائر بين المحيطين

تأليف يوسف السباعي – ٣٠٨ صفحة – الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة – مطبعة دار مصر للطباعة بالقاهرة

أغلب الظن ان الدور الذي كان يقوم به الرحالة القدامى ، ارضاء لحاجة المواطن العربي لاستشراف المجهول واستيعاب البلاد البعيدة والقيام بمهمة التعارف بين الشعوب والوقوف على العجائب والغرائب او الاشياء الجديدة .. هذا الدور يقوم به اليوم للقارىء صحفيو وادباء العصر . ولقد شارك يوسف السباعي في هذا المجال ايضا منذ وقت غير قصير ، رغم ان الصحافة والادب لم يكونا باعثه الاول على القيام بأكثر رحلاته .. اذ ان وظيفته في المؤتمر الآسيوي الافريقي هي التي تتطلب منه ان يعبر القارات بين شهر وشهر . واذا كان رحالتنا الجديد قد تناول في كتبه التي تحوي مقالاته بعض هذه الرحلات ، فان احدث انتاجه « طائر بين المحيطين » الذي صدر قريبا ، يقتصر على الرحلة وحدها . ولذلك فهو أبين في الدلالة على ملامح هذا الفن في كتابات يوسف السباعي .

وقارىء رحلات السباعي لا ينتظر من من يبغض الجغرافيا ويكره الاعداد الى درجة .. الا يطيق التفاصيل في الارقام حتى لو اضافت شيئا في حسابه ، ان يجد في حديثه عرضا جغرافيا او احصائيا بأي شكل من الاشكال . لقد كان شاغل صاحبنا الاول ان يتناول الهموم الداخلية والخارجية لرحالة العصر الحديث والعلاقات البشرية البسيطة او المتشابكة بين الناس .

وفي احيان غير قليلة بدت الرحلة خاصة في القسم الاول وكأنها تتحرك على مسرح القصة الطويلة ، لا تلتقي بفن الرحلات الا عرضا او مصادفة . ولكن رغم هذا كله فان يوسف السباعي استطاع ان ينقل الينا من خلال تحركه في اعمال المؤتمر من مكان الى مكان ، طبيعة هذا البلد او ذاك بأجوائه وناسه بأسلوب افضل من سرد كتب الرحلات المباشر وتقديم المعلومات . فمن ثنايا الموقف والشخصية والحدث ، عبر بأسلوبه القصصي عن اكثر الملامح أصالة واكثر القضايا والظواهر انتشارا في البلد المزار .. مثل هذه الفتاة البيضاء التي التقى بها في غينيا وهي نتاج الاب الفرنسي والام خليط الفينية والكونجولي ، واعتزازها الكبير بأفريقيتها واسرتها السوداء الى الحد الذي تعرفه بها في كوخهم القروي في الدغل .

والرحلات دائما تؤكد هذه البديهية التي تقع منا في زحمة الحياة اليومية والاهتمام المحلي موقع المفاجأة ونحن نقف فيها ، وكأننا نكتشفه لاول مرة ، على حب الانسان للانسان . هذا الحب هو اللغة العالمية التي يعبر بها الناس جميعا عن آدميتهم قبل ان تنطق ألسنتهم بلهجاتهم القومية . وهي هنا أيضا تتنفس في رحلات يوسف السباعي . فالحواجز الحقيقية او المصطنعة تتهاوى مع الرغبة الصادقة في التعارف . ان الانسان هو الحقيقة الاولى على الارض .. قبل الدول والمشاكل والمذاهب واطماع الاقطاب . الانسان هو هو سواء أكان في بكين او كوبا او اديس أبابا او اكرا او هافانا او غيرها من البلاد التي عرض لها اديبنا . حقا ان العالم كما يقول السباعي صغير والانسان لا يتغير . ان السيدة الاذربيجانية في باكو مثلا التي تنشر سجاجيدها على حافة الشرفة ، لا تختلف عن اخت لها في القاهرة او اي مكان آخر من العالم ..

والسندباد الجديد الذي تقدمه رحلات السباعي ، لم يستطع في بعض رحلاته الا ان يكون سياسيا . وهنا غلبت حدة كلمات مؤامرات الاستعمار ومقاومته والاحتلال الامريكي الجديد .. الخ . ولعل ذلك صبغ جانبا من هذه الرحلات بلون معين لا نجده في الرحلات الاخرى . ورغم ذلك يمكن القول ان الذين لا يستسيغون السياسة ، يجدون في محاولات السباعي ما يرقق من حاشيتها قليلا ويجعلها تبدو غير عسيرة الهضم .. خاصة عندما يجعلها تجلو واقعا معاشا يبعد عن التقارير وما تذيعه وكالات الانباء المؤيدة او المعارضة .. واقع يزار ويتعرف على اصحابه كما في تقديم فناننا رحلة فيتنام ..

واذا كان الانسان العادي يختزن تلقائيا بلا وعي ما يقع له ويلتقط بصره ، فان الكاتب الرحالة الذي يريد ان يستخلص من مشاهداته ما يقدم للقارىء .. لا يملك الا ان يستشعر دائما وجود هذا القارىء في كل لحظة ، فيتثبت من البشر ويعيد النظر اكثر من مرة متاملا . فاستمتاع رحالتنا بزياراته بهذا الشكل ليس خالصا .. انه استمتاع موجه اذا صح هذا التعبير .. والذي يوجهه هو المتلقي .. يحدث هذا بأسلوب غير مباشر ولكنه واضح قوي يحسه الكاتب الرحالة قبل غيره . يكتب السباعي مثلا .. تأمل ما حوله ومن حوله .. فلم يجد به شيئا يبقى في الذهن .. يمكن ان يسترجعه عندما ينبش ماضيه .. ليجتره على الورق ..

ومن الملاحظ ان كاتبنا وسم رحلاته بالخطوط التي سارت عليها تنقلات اجتماعاته ، مما اعطى لها مذاقا خاصا لا نجده في رحلات غيره.. خاصة وهو يقدم الينا عالم المؤتمرات بتياراته الساخنة والباردة وجنسيات اعضائه المختلفة وكأنه برج بابل . ولكن هذه الخطوط من ناحية اخرى ، قيدت خطوه الحر .. فرغم ان السباعي شرق وغرب، وكتب عن مشاهداته وانطباعاته وتأملاته ، وهو شيء كثير .. الا ان هذا كله كان في نطاق مواقع عمله بمعنى انه لم يبرحها الى غيرها في محاولة لاستكمال ملامح الصورة .

ان رحلات السباعي لا تحاول ان تستوعب فحسب البلاد البعيدة، بل هي تعمد ايضا وفي المقام الاول الى استيعاب اعماق صاحبها نفسه وفي ذلك كسب غير قليل للقارىء العربي الذي يقف على الدوام على شطآن عوالم حيوات ادبائه لا يكاد يعرف عنها شيئا !

القاهرة — علاء الدين وحيد

●

منهج البحث الادبي

تأليف الدكتور علي جواد الطاهر – ١٥٠ صفحة – مطبعة العاني ببغداد – ١٩٧٠

للاستاذ الدكتور علي جواد الطاهر على الادب والنقد فضل ، وله فيهما مكانة سامقة عززها اطلاع واسع ، وعلم جم ، ودأب متواصل ورفع منها ما غنم من نعمة التواضع ، وما فاز من حصيلة الادب ،

والخلق وهذه الفضائل مغانم العلماء الاجلاء من دنيا الادب ، والفن ، والابداع . واذا مال بعض الادباء الى التخصص في لون معين وجدوا فيه رغبة منهم له وتوفروا على النبوغ ، والبروز فيه فان يراع استاذنا الطاهر لم يقف عند قدر محدود من التخصص بل انه استطاع بما وهب من وساعة في الافق ، ودراية في الادب ، وعلم في النقد والدراسة، حيازة القدح المعلى في اكثر من باب ، وميدان . ولذا فقد تعددت مؤلفاته ، وتنوعت نتاجاته . فقد عرفناه دارسا في « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » ومحللا وناقدا في « لامية الطغرائي » و « محمود احمد السيد » و « القصص العراقي » و « مقالات » و « ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة » ومترجما لمجموعة « الابن وسبع قصص اخرى » ومؤلفا ناضجا لاكثر من كتاب ، وكتاب . واذ يجد الدكتور الطاهر على صعيد التأليف رغم متاعبه الحياتية وارتباطاته الادبية فانه لا ينسى ان يطالعك على صفحات مجلتي « الاديب » الزاهرة و « العرب » الغراء .

وجريا على عادته ، واستمرارا على منهجه في تقديم خلاصة تجاربه خدمة للادب ، والتماسا لافادة قرائه ، وتلاميذه فقد ادلى بدلوه مرة أخرى بعد مرات فكانت النتيجة « منهج البحث الادبي » .

ينتظم الكتاب في فصول تسعة سبقتها مقدمة وتلاها تمهيد . وبين اولى الصفحات ، واخرياتها صولات وجولات ، ومناقشات وتحليلات كتبت باسلوب شائق ، وبتركيز واضح ، وبمنهج صحيح . تفضي هذه الفصول الى الخاتمة الصغيرة حجما المركزة موضوعا متضمنة عصارة ما في الكتاب من شرح وتفسير .

« البحث والبحوث » هكذا يطالعنا الدكتور الطاهر في الفصل الاول من الكتاب وكان منطقيا ان يبدأ بتعريف « البحث » وقد فصل ثم انتقل الى القسم الثاني من الفصل الى « البحوث » فاستوفى اقسامها ولم ينس التعريج على سرد ملاحظات مفيدة منهيا الفصل . حتى اذا استوفى الكلام على البحث والبحوث انتقل الى « الباحث » عبر الفصل الثاني متحدثا عن شروطه فذكر أحد عشر شرطا مهما هي :

(١) الرغبة . (٢) الصبر . (٣) التتبع . (٤) الحافظة والذاكرة . (٥) الربط . (٦) الشك والتثبت . (٧) الانصاف والموضوعية . (٨) الامانة والضمير . (٩) الجرأة . (١٠) العقلية التنظيمية . (١١) الموهبة .

ثم ختم الفصل بتقديم نصائح لا غنى عنها . وفي الفصل الثالث حديث عن « اختيار الموضوع » معزز بشروط اربعة وهي :

(١) الدقة والوضوح . (٢) (الجدة) . (٣) وفرة المصادر . (٤) مناسبته للمرحلة التي هو عليها .

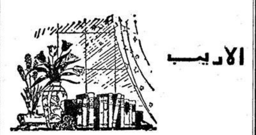
ولم ينس المؤلف وهو يسرد هذه النقاط ان يذيلها بملاحظة مهمة نافعة . اما الحديث عن « الخطة » فقد ورد في الفصل الرابع وهي امر مهم في البحث الادبي لانها « رسم للخطوط التي سيسير عليها الموضوع » .

وفي الفصل الذي كتبه عن « المصادر » تنبسط ستة اقسام تدور حول محور الاهتمام بالمصادر وما اليها . اما « جمع المعلومات » فذلك ما احتجنه الفصل السادس . بينما يشكل الحديث عن « المسودة » و « المبيضة » الفصلين السابع والثامن تبعه الفصل التاسع المعنون « من الطبع الى المطبعة » وقد ورد فيه :

(١) الطبع على الآلة الكاتبة . (٢) الفهارس . (٣) فهارس اعلام الاشخاص . (٤) المناقشة . (٥) الطبع والنشر .

ان الدراسة فضلا عن كونها علما فهي فن أيضا ، وفضلا عن كونها ابانة عن جوانب فهي قدرة ، وادراك ، ودقة وهذا لا يتيسر لطالب لا يعرف المنهج ، ولم يقرأ عنه ومن هنا يتبين حجم فائدة « منهج البحث الادبي » ككتاب علمي منهجي الف بموضوعية ، ودراية ، وفهم.

ان الدراسات العليا في الكليات ، والجامعات العربية وهي مقبلة على نهضة في الطريقة ، والاسلوب ، والمنهج تحتاج الى كتب مقررة



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة ٢٢٣٨١٩
المنزل ٢٢٥١٣٩

☎ Dir : 223819
Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

لدراسة المنهج الادبي مسايرة لاهتمام ارقى الجامعات العالمية بـــه ، وتمشيا مع درجة العزم الذي توليه جامعاتنا لاغناء طلبـــة الدراسات العليا وتزويدهم بما يروي عطشهم الى العلم ، والدراسة ، والتتبع .

أرجو الا اكون مبالغا اذا اقترحت ضمه الى فصيلة الكتب المقررة على طلبة الدراسات العليا فهو خلاصة معاناة ، وحصيلة خبرة طويلة.

بغـــداد **نبيل ابراهيم العطية**

●

صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني

تاليف الدكتور محمود ابراهيم ـ ٢٤٣ صفحة ـ نشر المكتب الاسلامي بدمشق ، ومكتبة الاقصى بعمان

اهدى الي الدكتور محمود ابراهيم ، الاستاذ بكلية آداب الجامعـــة الاردنية ، كتابه النفيس عن ابن القيسراني وصدى الغزو الصليبي في شعره ، فلم اعجب لاختيار الدكتور محمود هذا الموضوع في هذا الوقت العصيب ، الذي تبلو الامة العربية فيه الامرين مـن الغزو الصهيوني العنصري الجاحم ، وهو ابن طولكرم المجاهدة ، وجار قلقيلية الجبارة ، والشاعر العربي المرهف الحس ، الذي حملته حاسته السادسة على أن لا يرى للجهاد بديلا ، وعلى ان يسمي ولي عهده « جهادا » .

أطال الدكتور في وصف عماد الدين زنكي ونور الدين في الربـــع الاول من كتابه النفيس وصفا علميا دقيقا ، جمع فيـــه بين دقـــة المستعربين ، وبلاغة امراء النثر . وهـــذه الاطالة التي رآها المؤلف ضرورية لتوضيح ما بعدها تجعلني اقترح عليه تسمية كتابه : « الغزو الصليبي وصداه في شعر ابن القيسراني » . وهذا يجعل عنوان الكتاب يشمل مادته كلها .

وربما كان اطنابه في وصف الاسلوب الحكيم الذي حكـــم بـــه نور الدين شعبه ايعازا خفيا لبعض حكـــام اليـــوم ، الذين حصروا اهتمامهم بأنفسهم واسرهم ، واهملوا شعوبهم ، للاقتداء بذلك الحاكم العظيم الخالد ، من حيث محاربتهم العدو المغتصب لارضهم كما حارب نور الدين الفرنجة ، ومن حيث حملهم على النهضة بالبلاد عمرانيا ، وثقافيا واجتماعيا كما نهض بها ذلك الحاكم الفذ .

ويأتي الدكتور ابو جهاد بمنتخبات من شعـــر ابن القيسرانـــي الوطني كقوله لنور الدين :

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجـــة ... فبالافق الداجي الى ذا السنا فقر
كأني بهذا العزم ، لافل حـــده ... وأقصاه بالاقصى ، وقد قضي الامر
وقد اصبح القدس المقدس طاهرا ... وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها ... فلا عهدة في عنق سيف ولا نـــذر
وصلت بمعراج النبـــي صوارم ... مساجدها شفع ، وساجدها وتر

وقوله لنور الدين أيضا :

فانهض الى المسجد الاقصى بذي لجب ... يوليك أقصى المنى ، فالقدس مرتقب
وائذن لموجـــك في تطهير ساحلـــه ... فانما انت بحـــر لجـــه لجب
يا من أعاد ثغور الشام ضاحكـــة ... من الظبى عن ثغور زانها الشنب
ما زلت تلحـــق عاصيها بطائعها ... حتـــى أقمت ، وانطاكية حلـــب

ويورد الدكتور محمود عشرات النموذجات من شعر ابن القيسراني القومي ، ويحللها تحليلا نفسيا وأدبيا دقيقين عندما ينظم مدائحه التي وجه جلها الى المجاهدين البطلين عماد الدين زنكي وابنه نور الدين ، وعندما يتغزل بحسناوات الفرنجة بعد تجاوزه الستين من عمره .

أما الفصل الذي كتبه ابو جهاد عـــن الصلة بين شعر ابـــن القيسراني واستعادة الارض والمقدسات ، والفصل الذي يليه عن القوة والوحدة ، فهما فصلان بلغ فيهما الدكتور محمود القمـــة ، ولحسن الحظ انهما جاءا في وقت تهم فيه امتنا بتوحيـــد سواعدها وقلوبها ، لاستعادة بلادنا المقدسة الطاهرة التـــي احتلتها اسرائيل بمساعـــدة الاستعمار .

وقد اجاد المؤلف في تقصيه الابيات التي حذا فيها ابن القيسراني حذو المتنبي وأبي تمام في شعرهما الحماسي ، الذي طغت فيه قعقعـــة الحرف على قعقعة السلاح . واتى الدكتور محمود بأنموذجات كثـــيرة رأينا فيها الشاعر متاثرا جدا بالشعراء الاقدمين عامة ، وبشعر المتنبي وابي تمام خاصة .

ويورد أبو جهاد أسبابا وجيهة ، حدت بالشاعر الى الالتفات الى قصائد ذينك الشاعرين العملاقين ، ويبدع في تحليل ذلك الالتفات .

ثم نرى المؤلف الكبير قد وفى الصناعة اللفظيـــة (البديـــع) ، والبيان في شعر ابن القيسراني وعصره حقهما مـــن البحث ، وأحسن اختيار النموذجات الشعرية الكافية ، الدالة عـــلى اهتمامه بالبديـــع عامة ، والاكثار من الطباقات خاصة .

وبحث الدكتور محمود بعد ذلك في نقد الشعر العربـــي ، وأورد رأي ابن طباطبا في كتابه « عيار الشعر » في الطريقة التي على الشاعـــر الحديث ان يرد فيها ينابيع المعاني التي تتدفق مـــن دواوين الشعراء الذين سبقوه ، حتى اذا اختلطت تلك المعاني ، وأصبحت جزءا مـــن ذخيرة الشاعر الفكرية ، راح يرد مزيجها الجديد ، الذي سوف يصبح طابع ذلك الشاعر .

لا شك في ان رأي ابن طبا وجيه ، ولكنني أرى ان المعاني التي لم يفض ختامها شعراء الامس هي اكثر جدا من المعاني التـــي اكتشفوا كنوزها . وسوف تتولد معان جديدة في اذهان عباقرة شعراء الغـــد ، تبدو امامها المعاني القديمة كأنها وردة في حديقة ، او ساقيـــة صغيرة متفرعة من نهر ، او نجمة في سماء مرصعة بالنجوم .

وقد كنت أود ان يخلو ذلك الكتاب النفيس من اغلاط مطبعيـــة كثيرة ، يستطيع القارىء النابه معرفة بعضها ، ولا يمكنه معرفتها كلها ، ولا حيلة للمؤلف في ذلك ، لانه يقيم في عمان ، وكتابه طبع في بيروت .

وهنالك جمل وفقرات كان يجب ان توضع بين قوسين ، للدلالة على أنها ليست للمؤلف ، لان عباراتها غير متماسكة ، كقولـــه في وصف نور الدين : « وبنى دار العدل في بلاده ، وكان يجلس هـــو والقاضي فيها ينصف المظلوم ، ولو انه يهودي ، من الظالم ، ولو انه ولـــده واكبر امير عنده » .

وربما كان ذلك من اهمال المنضد ، او مصحح المطبعة ، ولا ادري لماذا لا تضع المطابع اللبنانية التي تحترم نفسها ـ بعدما نسلم لبنـــان راية الطباعة والنشر في العالم العربي ـ مصححين من الادباء المعروفين ، لتصحيح مئات الكتب التي تطبع سنويا في لبنان لمؤلفين يقيمون خارج لبنان ، ولا يستطيعون الاشراف على طبع كتبهم ، وانقاذها من براثـــن الاخطاء المطبعية .

وفي الختام ليس في وسع الناقد تلخيص كتاب نفيس مركز المعاني كهذا الكتاب ، كما يلخص زهر الروض في قوارير من العطر ، وما على الادباء الذين يرغبون في دراسة القرنـــين الخامس والسادس الهجريين تاريخيا وادبيا ونقدا ، ويودون الاطلاع على الاسلوب العلمي الدقيق في البحث ، الا ان ينهلوا من معين هـــذا الكتاب ، ليجنوا ثمرات فكـــر ناضج ، قضى سنوات في دراسة شاعر كبير وعصره .

صيدا ـ لبنان **محمد العدناني**

●

العصـــف والريحـــان

تاليف عبد الله كنون ـ ٢٦٤ صفحة ـ منشورات المكتبـــة العصريـــة بطنجـــة المغـــرب

اذا أبحت لنفسي ، او وجدتني مدفوعا الى تناول العالم الجليـــل الاستاذ عبد الله كنون ، في هذا الكتاب ، فما ذلك ، الا انني قد كنت

امر على ما يقع تحت يدي من انتاجه ، مروري على اكثر الادباء ، معرفة الاسم ، والمؤلف ، الى ان كان لي من امر الحديث مع هذا الرجل ، فاضطررت الى البحث عنه عن طريق صديقه الباحث الاستاذ انور الجندي ، الذي أعارني : « العصف والريحان » وطالبني برد عاريته بعد قليل ...

وقد شاء حظي السعيد ، ان اراجع الاستاذ كنون في بعض مؤلفاته وكثير من مباحثه ، وان كانت لي العتبى ، في انني طالعته على عجل ، ولمسته لمسا خفيفا ، في مكتبته تارة ، او عند صديق تارة اخرى ... لذلك ، اعترف بان ما اكتبه عن الرجل ، لا يمثل عندي الا جانبا ضئيلا من دراسة ، اريد ان استكملها في قابل الايام ، عندما يتاح لي ان استقرىء هذه البلاد ، او اضع دراسة مستوفاة عنها ، فهي اصل اجدادي ، كما قيل لي ، وموضع الاصلاء من بني : « زيان » ..!!

يضم « العصف والريحان » اثنين وعشرين بحثا ، هي ام هذا الكتاب ومحتواه ، وان كنت اجزم بان هناك مباحث اخرى ، تنتظر النور ، كما رأى غيرها ضياء الحياة في ظل « التعاشيب » و « واحة الفكر » و « خل وبقل » و « كان لها اثرها في اثراء حياتنا الفكرية ، واخصاب انتاجنا الادبي » .

ولا ريب ، في ان هذه المجموعة الرابعة ، هي ما ارخت الا للادب المغربي ، وتناولت « البيت في الشعر العربي » ، ونظرت في الباحث الموسوعي : « انور الجندي » ، و « بطاقة زيارة » ، و « المعجم العربي » و « المغرب في مجمع اللغة العربية » وبحثت في « علم الجنس » ، وتجلى تقديرها « لمالك بن أنس » و « ابن ابي الخصال » و « ابي البقاء الرندي » و « ابن الابار » و « ابن سناء الملك » و « ابن خلدون » غير بقية الابحاث التي عرض لها الاستاذ كنون ، ووفاها حقها من الاستبطان والعرض والتحقيق والموازنة ...

والاستاذ كنون في مناقشته للاستاذ الصحراوي ، الذي اخذ عليه كلمة : « سوقة » في الكتاب الذي حققه وهو : « ديوان ملك غرناطة » انما يتسم بالهدوء ، ويستقرىء الروايات ، ويسوق الادلة شعرا ، حتى يستقر في الاذهان ما عناه هذا الباحث من لفظ « سوقة » الذي يقابل في بحثه : « لفظ ملك » ويأتي بشواهد العروضيين ، وما انشده الخليفة المعتصم عند احتضاره ، وابن بسام ، وحرقة بنت النعمان بن المنذر ، بعد ان دل على ان : « لبيد » و « النابغة » وغير واحد من شعراء العربية الاقدمين ، قد استعملوا هذا اللفظ بمعنى « سوقة » في اكثر من موضع ، من تواتر القصيد ...

ولا يالو هذا الباحث الكبير جهدا في الاشادة بمجد بلاده ، فهو عندما يعرض لمساهمة المغرب في تقدم الثقافة العربية، يستعرض التاريخ، ويقلب صفحاته صفحة صفحة ، فيذكر قصة « الصاحب » عندما سمع بكتاب « العقد الفريد » ، ويتحدث عن الاندلس ، ثم يؤرخ لمكانة المغرب في الحياة الفكرية العربية ، ومدى اسهامه في تقدم هذه الحياة ، وذلك حين توحد على يد امراء المسلمين من ملوك المرابطين ، وخلفاء الموحدين، وسار في طريقه الى اليوم .

ويذكر المؤلف بعض من نبغوا في هذه البلاد ، وكان لهم دور في توجيه الثقافة العربية ، كالقاضي عياض ، وابن اجروم وابن الطيب الفاسي ، والشاعر : ابن حبوس الفاسي ، والجراوي ، ومالك بن المرحل ، غير المراكشي ، وابن عذارى ، وابن أبي زرع ، وابن القاضي، والقشتالي ، والافراني ، والزياني ، والناصري ، وابن جعفر الكتاني ، وابن زيدون ، والشريف الادريسي ، صاحب الخريطة الدقيقة للعالم ، عدا العلوم الكونية التي ساهم رجال المغرب فيها ، والرياضية والطبية التي نبغ فيها كثير من علماء هذا البلد ، وكان لهم فيها فضل ومشاركة ...

وقد قلب الاستاذ كنون « السليقة عند العرب » ، واتى بمعانيها الكثار ، وما كان من المخالفة التي تعدى بها العرب القياس .

لكن الباحث الكبير ، لم يهمل في مساق كلمات ، عدها اصلا وواقعا في معناها ومبناها ، وبين ان الكلمة التي من هذا القبيل ، يجب ان تاخذ طريقها الى المعجم العربي من غير ما توقف او تلكؤ ، وبخاصة « اذا كانت متوافرة القياس اللغوي ، وجرت على ألسنة العموم بحكم ان واضعها قدر الحاجة الماسة اليها ، فسد بها فراغا كان الجميع يشعر به » .

ولا أدل على ما لهذا العالم من جلد وصبر ، حبه الذي لا يمارس فيه أحد ، البحث أيا كان نوعه ، وأيا كانت فائدته .

فان « البنيس » الذي طار فرحا عندما وجد اشارة تدل على معناه في قول الشيخ « المشرفي » :

وما البنيس الا دن خمر وبالتحقيق قد وجب انكساره

قد بل ظماه ، وشفى غلته ، وامتع نفسه اللهفى وراء لفظ ، ما أظنه بشافع في رد ما كان ، او بنافع فيما يكون ، الا انه البحث وراحة الضمير ، والشعور بالظفر ، وكذلك كان « الشرجب » بمعنى « النافذة » ، و « الزليج » بمعنى : « الفسيفساء » والقاشاني ، وغير هذا مما جاء تعقيبا له ، او توضيحا لما ورد على لسان بعض الباحثين في مؤتمرات المجامع اللغوية ، او سواها من الجلسات والندوات ..

ويكبر الاستاذ كنون ، من شأن الاستاذ عباس العقاد في تقديمه كتاب : « التفكير فريضة اسلامية » لا سيما اذا ظفر بالكتاب هدية من « رائد الفكر العربي الحديث » متناسيا انه صنو على طرف آخر من البحث والتحقيق ، لكن التواضع هو الذي ينطقه بأن هذا الكتاب: « اتجاه فلسفي ، يحدد نظرة الاسلام الى الحياة والكون ، وما تشاجر حولهما من آراء ومذاهب ، منذ ان وجدت الفلسفة ، وحاول الانسان تفسير غوامض هذا الوجود ... »

ثم يسرد المؤلف قصة لقائه بالدكتورة « بنت الشاطىء » ، وكيف استحيا ان يطلب توقيعها على كتابها : « قيم جديدة للادب العربي » ، ثم ما كان من امر تعرفه بها واتصاله الذي أبى عليه الا ان يقول عن كتابها : « انه محاولة ناجحة لوضع قيم حقيقية للادب العربي » ، ثم ما كان من تمنيه على الدكتورة .. « ان تتوسع في هذه الدراسة ، وتستمر فيها ، حتى تشمل العالم العربي بجناحيه ، وتصل الى ما بعد العصر العباسي ، من عصور حكم عليها ظلما : بالعقم والضحالة » .

ولا اراني قمينا بمناقشة الآراء التي جاءت في الفصول والمباحث التي ذكرتها بادىء ذي بدء ، او غيرها من بقية الافاضات ، فليس هذا العالم بحاجة الى اشارة مني ، او لفتة اضمه بها على صعيد الادب ، فالرجل قد قدم نفسه ، بما ألف وبحث ، واخرج من كتب ، تشهد له ، يوم لا ينفع الا هي ، في : التجلة والاكبار .

القاهرة **ابو طالب زيان**

•

الريـــاح العاصفة

ديوان شعر ـ ممدوح مولود ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة بدمشق

في عام ١٩٥٦ عندما صدر لممدوح مولود « نذير الامواج » قال الدكتور ممدوح حقي في مقدمة الديوان « لقد بدا ممدوح بقوة يضرب آفاق الشعر بعزم فهل يستمر على عزمه وقوته وايمانه ؟ »

وعندما أصدرت وزارة الثقافة « الرياح العاصفة » تأكد في قرارة نفسي قول الحقي عن هذا الشاعر الشاب الذي نشر على عاتقه ثلاثة كتب خسرت ماديا خسارة فادحة ... ولكن ايمان الشاعر بالعطاء ، وهو يحمل آمالا كبيرة ، ورغبات الشباب الجامحة ورغم كل المعوقات

لم ييأس قط بل حاول وحاول ...

وديوانه الجديد « الرياح العاصفة » ماذا حمل في طياته اليوم ؟ ما مدى التقدم الذي احرزه رغم المسافة الزمنية الطويلة بينه وبين ديوانه الاول ؟ ويمكننا ان نتساءل أيضا : هل تأثر بموجة التجديد المعاصرة التي صارت واقعا ملموسا تركت بصماتها على نتاج اغلب الشعراء الشباب من بدء الحركة التجديدية حتى يومنا هذا ...؟

في كلا الديوانين ومن خلال ما نشر في المجلات خلال هذه الحقبة التي لا يستهان بها نجد ممدوح محافظا على شكل العقيدة التقليدية : يحترم الفراهيدي ، ويصادق القافية ... يجذبه البديع ، ويطرب للتنغيم ... يمتاز بالنفس الطويل .. ، يحمل الحماس المتقد الخطابي المنتشر في منحنيات قصائده ... رغم ابتعاد المدرسة الحديثة في الشعر عن الضجيج الى الهمس ، وعن التصريح الى التلميح ... وقد لعبت نكسة حزيران دورا ايجابيا في هذا الشأن .... هذا من حيث الشكل ... فكيف المضمون ... في « نذير الامواج » كان بين الذات المحترقة بنار الغرام والشباب والفتنة والجمال .. وبين الذات المتوقدة بنار الثورة اما في ديوانه الجديد ... فقد التزم خطا واحدا ... التقى عنده الوطن بالمعركة بالانسانية ... صار حرفه يحمل المرارة والتمرد والنزق ... فمثلما المقاتل الذي يناضل بدمه كان الشاعر يقاتل ويرفد الاول بالحرف بالفكرة .. بالحداء الصادق .. لماذا ؟ « لان الحياة اكثر اهمية من الفن ... وهذا ما يجعل الفن مهما » على حد تعبير « جيمس بالدوين » .. لذا أصبح الفن .. اصبح الشعر عند ممدوح التزاما عفويا ، سلاحا ومسؤولية ...

ما الشعر ان لم يكن والحرب دائرة   نارا تحوج.. أعاصيرا .. براكينا
ما الشعر ان لم يكن والركب منطلق   الا ضميرا أبيا مغضبا فينا ...

لذا علينا ان نكون اكثر صبرا وجلدا عندما نطالع « الرياح ...» في لحظة المطالعة لزاما علينا ان ندرك دور الحرف في هذه الفترة العصيبة التي تعيشها امتنا .. لزاما علينا ان نعاني بعضا مما يعانيه الجندي والشاعر يحاول تصويره ، ورصد مشاعره .. ان نلمس قرارة الفدائي والشاعر ينسج القصيدة تلو القصيدة عنه .. عمن بذل الكثير .. ان لم نعش تلك المشاعر فسوف نتهم الشاعر بثقل الحروف ، بمرارة الوقع ... واما اذا كنا كتلة منصهرة في أتون القضية فسوف نستشعر ابعاد القصائد ... التي تنداح كلمات صارخة في وجه العدو والظلام وكلمات خضر تحدد قوافل المقاتلين .

قراءة سريعة لعناوين الديوان « رسالة من الجبهة ، الانهيار الكبير ، اغرقوا الايلات ، زئير العاصفة ، عيون لا تنام ، الاطفال والضمير العالمي ، وطني ، رسالة من الارض المحتلة ، 'مذكرات فدائي.. الهزيمة ، الاطفال والاسلحة .. الخ ... » يدرك القارىء ماذا تحمله قصائد الشاعر ... انه يهتم بالجندي ، بالفدائي .. بالاطفال ... بالسلام .. بالمعركة .. بالمقاتلين .. بالغد الذي تشرق فيه الشمس.. قصة هؤلاء .. لم تنته بعد .. بلغت ذروتها الدرامية ـ ان جاز التعبير ـ في حرب حزيران .. وقصيدة « الشعر والمعركة » التي كتبها اثر التاهب العربي قبل هذه الحرب .. تدل دلالة واضحة على مدى فشل المثقف ، وفشل الحرف الذي اتكأ على التهويل والحماس .. وقد عرته النكسة فصار حرفا نقيا صادقا ... صار المثقف شاعر الفكر العاري .. والمفكر الشاعر ... اذا اصبح الضجيج نقطة ضعف يجب تلافيها .. لان الهزيمة كما قال ممدوح في قصيدة تحمل هذا الاسم :

انها المحنة .. او قل انها النكبة والرؤيا النعيمة
انها تجربة الاخلاق ، بل محض المروءات النؤومة

الشاعر بدأ يترقب اية ظاهرة صحية في جسد الامة ... فعندما تم اغراق « أيلات » نسج قصيدة تفيض فرحا لغرقها ... واخبر العدو بأنها البداية « انها البداية ، والباقي كفيل بسحقه الزلزال ... »

وبالفعل كانت البداية .. تلتها ما يسمى رد الاعتبار .. الدفاع عن الكرامة . ، رفض الخضوع ، لم يعد الحرف يكفي .. فكان الفدائيون .. يطلعون في كل مكان .. وقد سجل الشاعر هذه الظاهرة كما اسلفنا في عدة قصائده بل جل قصائد الديوان ... نجح في بعضها وكانت صعوبة المعاناة ومعايشة تلك الاجواء .. سببا في جفاف النسغ الخلاق في بعض القصائد .. مثل « غدا تشرق الشمس » و « اقوى من الموت » يصور فيها قتال الفدائيين مع طائرات العدو .. وكما في « القراصنة » ... وما اعجبني الامل ... الذي يشع في كل خلية من خلايا الديوان .. تفاؤله بالمستقبل .. بالرهص النضالي .. بالغد الجميل ..

فخلفنا لم تزل روح مقاتلة   في كل قلب لغير الحق ما سجدا
وخلفنا ألف جيل الف قافلة   من الفداء تهز العالمين فدى

واما الجندي في الخندق فيعيش الشاعر معه .. يساعده في كتابة « رسالة من الجبهة » و « رسالة الى ماري » لان « الفارس العربي » يرسل « اغنية للغد الاخضر » بعد « سقوط الاقنعة » وظهور « الحقيقة العارية » من اجل « وطني » من أجل « الاطفال ... » « فالعيون لا تنام » !!

وقبل ختام كلمتي أسجل هذه النقاط التالية :

١ ـ حافظ الشاعر على العمود التقليدي وكم تمنيت لو ظهرت على شعره بوادر التجديد بالشكل والمضمون .

٢ ـ لقد سادت روح الخطابة في الديوان .. وهذا يعود لحب الشاعر للتنغيم الى حد الطرب .. فالقصائد محفلية .. منبرية تعتبر الصوت الداوي للنضال .

٣ ـ اهتمامه بالكم يجعله في بعض الاحيان يقع في حبائل النثر.. والاشياء السطحية ...

٤ ـ ما قبل النكسة كان الادب يستعين في مواجهة العدو بقاموس السب والصراخ ونعته بالصفات السيئة ولكن النكسة غيرت ما غيرت مع كل ذلك نجد شاعرنا الشاب يثور .. وفي أتون ثورته يسب ينعت العدو بتلك الصفات .. نجد ذلك في « الحقيقة العارية .. واغرقوا الايلات ... و ... مثلا » .

٥ ـ اذكر ان صحفيا سأل الروائي نجيب محفوظ بعد النكسة عن كتاباته عن المعركة .. و ... فاجاب ان من يعيش المعركة واقعيا ضمن القوات المسلحة سوف يكون اكثر معاناة وصدقا» وهذه حقيقة واعية.. لذا فان المعاناة ، والتجربة لخلق فن المعركة يحتاج الى ادراك والى معايشة .. وقد وقع الشاعر في هذه التجربة فجاءت بعض قصائده غير ناضجة جدا ...

لا اخفي ان بعض قصائد الديوان مثلا : عيون لا تنام ـ رسالة ماري ـ الجندي المجهول ... وغيرها تركت في نفسي اثر حسنا ... وسوف يظل ممدوح مولود وغيره من الشباب الجنود المجهولين حتى يوجد الناقد والقارىء المنصفان اللذان يعرفان من هو الجندي المجهول ... وهو يقول :

واصبحت جنديا أبيا مقاتلا   أخوض غمار الحرب حر الملابس
ولم اقتطف غير الجحود ولم أجد   سوى الريح في وجهي تبيد مفارسي
كأني غريب في بلادي وليس لي   مكان لصوتي في خضم التفارس

ولممدوح الجندي المجهول له جزيل شكري آملا ان يغذي المكتبة العربية بفائض عطائه ، محاولا التطور لان التطور واقع وطبيعي ، والتجديد لان معاناة الشاعر في هذا القرن والذي يليه تملي عليه هذا التجديد .

حلب   **مصطفى احمد النجار**